جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة

prix littéraires
premios literarios
naji naaman *'s*
literary prizes
2007

تحسين كرمياني

ثغرُها

على منديل

(مجموعةٌ قصَصيَّة)

دار نعمان للثقافة

تحسين كرمياني

قاصٌّ وكاتبٌ مسرحيٌّ عراقيّ، من مواليد عام ١٩٥٩. متخصِّص في شؤون النَّفط، مُتَفَرِّغ للكتابة منذ عام ٢٠٠١. عضو اتِّحاد الأدباء والكتّاب منذ عام ١٩٩٥، صدرَ له "هواجس بلا مرافئ". حازَ جوائزَ عديدة منها إحدى جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة (جائزة الإبداع، ٢٠٠٧) عن مؤلَّفه الحاليّ.

ينقُلنا تحسين كرمياني، في سهولة الرَّاوي ورقَّة الحبيب ولوعَة المُجَرِّب، إلى عالم الإنسان المتألِّم من واقعٍ، الطَّامحِ إلى مُستقبلٍ واعدٍ، السَّاعي لتحقيق ذات، وإنْ في الحدود الدُّنيا. وهو، في قصصه القصيرة، يسردُ في خَفَرِ مأساةَ شرق، كانَت، ولمَّا تَزَلْ.

ناجي نعمان

Tahssine Karamyani

Iraqi author, born in 1959 (Jalula' – Dayala). Petroleum studies. Full time writer, since 2001. Laureate of Naji Naaman's Literary Prize 2007 (Creativity Prize).

Auteur, né en 1959 (Jalula' – Dayala). A suivi des études en matière de pétrole. Auteur à plein temps depuis 2001, il est lauréat du Prix Littéraire Naji Naaman 2007 (Prix de Créativité).

ألأوراقُ لا تأتي في خريف الرَّغبات

سواء أكانتِ الرِّياحُ عاصفةً أم لطيفة، وقفتْ دومًا، يحدوها الأمل. هنـــاك فقـــط يستقرُّ بصرُها؛ لا يبدو أنَّ ثمَّةَ سحرًا في مكانٍ آخر. توماس هاردي

كلَّ أصيلٍ تنتظر... وكلَّ ليلة تغفو على نفحاتٍ عذبةٍ تبثُّها حيثما تقفُ كلماتٍ تُشرقُ بضياء أشواقٍ ملتهبة، كلماتٍ كلُّها سحرٌ تثمل روحها وتمهِّد برغبة ضاريةٍ لبساط الرِّيح أن يترجَّل من علياء أمانيها ليأخذَها إلى حيث الأشياء الضائعة، شموع لا تموع، قناديل وهديل، تتهرَّأ أسمال كهولتها، صبيَّة تسترخي على رمل شاطئ دافئ ومن حولها نوارسُ تحكي لا تبكي وشمس حياة لا تغيب! كلَّ صباح تستيقظُ هواجسُها، جسدُها على سرير ناعم نابض، أسرابُ عصافير من على قضبان شبَّاك غرفتها تغزلُ حول نول النَّهار بساطَ فرحها، نسمات عذبة ورقصات، تنتابها قشعريرات سرور تثملها، هواء عليل يُعيد ترتيبَ أوراق عمرها، نشطة... تهرول لتحتضنَ كلَّ فرحة تباغتُها! مجنونة... عجزتِ الأحلامُ عن تلبية رغباتها! معروفة... لا نداءَ صرعَ غرورَها! فاكهة يانعة... لا يدَ تمكَّنَت – من بستان الحياة – قطفَها! فتاة انتبذت مكاناً عليًّا، عيونٌ تهاجم... ثغورٌ تتوسَّل... عاشقةٌ ظلَّت لِمَوج البحر... ومثل سفينة بلا ربَّان أسيرة تائهة تمرح!

مصيبةٌ غزت بيتَ مسرَّات، طوت بعباءة صهيل وعويل (أم) ماتت قبل أن تكحِّلَ عينَيها بما يستعدُّ في مملكة أحشائها للهبوط من عرش النَّزوات، (أب) سقط من صدمة الفقدان، و(بنت) رأت مالاً وجاهًا حين وعت ومشت، لا تأكلُ إلاَّ بدلال، لا تنامُ إلاَّ على أغنيات، ويومَ شبّت عن الطُّوق، صلابة تطبَّعتها، غرورٌ سربلَها بلباس تمرُّد ونفور،لا ليلُها ليل، ولا نهارُها نهار، كبرت على عجل من غير أمل وأهل!

مذعورةً تراقبُ ما ترى! صبيَّة تائهة وحشدُ قنَّاصين مَهَرَة يُلقون أشراكَ الرَّغبة، أينما تكونُ مراصدُ من نار تلتهمُ هذا السِّحرَ الماشي، أين تتَّجهُ سفينتُها، قراصنةٌ بالمرصاد، سرابٌ أبديٌّ يجذبُها، عينان في الأفق تغريان وتهربان، تناغيان بلَوعة وحرائق، عينان رأت فيهما طفولتَها، رأت سويعات البحبوحة المفقودة، لسانها مشلول، عواطف تستحيلُ طيوراً نادرةً تنطلقُ من أقفاص روحها، عينان مرفأ راحة وسهر، هاجس يلحُّ كلَّما تنفرد، أو ترخي فتنتها على سرير حلم عجزت أن تفكَّ مغاليقَه! مَن جاءَها بوردة التَّواضع؟ مَن شرخ رداء عزلتها؟ تتداعى قلاعُها الرَّصينة، تتناثرُ أوراقُ غرورها، لذعات مقلقة وحلوة، أسمال تلقائيَّة تُقوِّمُ رشاقتَها، تمشي وكلُّها سرور، تمشي وترقص، كلُّها يفاعة وغزل، ليل طويل تركب سفينتَه، نهار جميل تعانقُ روتينه، حصان يخب، من مكان قريب يتناهى صهيلُه، تسمعُ وقعَ سنابكه، تهرولُ السَّاعاتُ والفارسُ المَأمولُ قريبٌ، لكنَّه لا يهلّ!

كلَّ ليلةٍ تزحفُ خيوطٌ من ضوء، هلاميَّةٌ ولاذعة، تلتفُّ وهي تغزل بوداعة حولها شرنقة، تشتمُّ رائحة فارس لبيب، تدغدغُ أغوارها همسات وسنانة، وتشعرُ بلمسات أنامل رقيقة، تركض داخل غرفتها، تضحك وترقص. نائمةً كانت هذه المسرَّات، مَن حجبَها عن النَّعيم؟!.. تشتمُّ الورق، تضمُّها بانتشاء إلى صدرها، تتناثر الكلمات وتنطلق خيول تصهل إلى فضاء الروح، تستحيلُ يمامةً تحلِّقُ وهي

تجتهد لالتقاط نثار الفرح السَّابح على أديم الحياة!!..
في عزلتها، ما كانت تشعرُ في لحظة ما، أنَّ الحياة كفَّةٌ للفرح، وكفَّةٌ للحزن: كفَّتاها كانتا فواكه من شجرة الثّراء لا تنقطع، قلبها ما خدشه طيفُ غضبٍ عابر؛ تمضي، لا يعنيها ما ترى أو ما يجري من حولها: ها هي تغترب في دنيا كانت وحدَها أميرتها، تزيح بأنوثتها المستفيقة جبال ثلوج تجمَّدت سنوات الغرور قبل أن تباغتَها سفينة خلاص متواضعة، ركوبُها نعيمٌ لا يزول، شيء ما نابض ووَدود مثل نغمات هداهد أوان التَّزاوج، مثل نسمات صباحات الرَّبيع ترطِّبُها ندى الأشجار، مثل سريان ماء زلال في جوف صائم، تلهث، تريدُ أن تلتمسَ معين الضوء المنبعث، هذا الفرح المباغت، ظامئةً تلهثُ والعمرُ أضحى قطارًا يهرب!!..

في ما مضى، كانت تحلِّق بمجرَّد عيون ترصدُها، أو لسان يُفلتُ ترنيمةَ آهةٍ على مصاغيها. وصفوها بالمُتعالية، وقالوا: المشؤومة!!.. لم تصغِ لقالٍ وقيل، متمسِّكة ظلَّت بتاج شموخها، تزدادُ صلابةً وعنادًا، تهربُ من واقعيَّتها، عوالمُ وحدَها قاطنتها قبل أن تهبط من علياء الغرور إلى أرصفة المتشرِّدين، إلى منزويات عشَّاق فقراء، تمشي بين دروب ليالٍ تفضي إلى موائد تجتمع حولها حالمات يبذخن جواهر الدُّنيا من أجل قبلة من شفتَي حبيب!!..
طيفٌ مَسَّها وتركَها هائمةً تنوح، أين ماضيها البريق؟؟.. أين ثبات نظراتها وشموخ شخصيَّتها؟؟.. ها هي نادمة تسقط وتتلمَّس دربَها، ريحٌ تدخل غرفتها وتسلِّمها حشدَ رغباتٍ وطويلَ مسرَّات، تقف، وهي تطلقُ بالونات ماضيها المترسِّب من أنفاق صدرها، لا مجوهراتها تصالح عنقها أو جيدها، لا مالها يوقف ينابيع حزنها، لا قصرها المنيف يقوِّض من كوابيس نحوها – كلّ لحظة – تزحف، ساهمة ساهرة، وموجُ ضوء يلعبُ بها!!..
أوراق... كلَّ صباحٍ تأتي وتسكنها، فيها تراتيلُ سرور، فيها أغنياتٌ مغايــرةٌ لما

سمعت، تريق بين كفَّيها عسل حياة غريبة وأسرار ثمينة؛ أوراق... لا تعرف مَن يجلبُها، ربَّما خادمتُها، ربَّما الرِّيح، لا يعنيها ذلك، هي مشغولة بما فيها من ملابسات تجتهد لهدم قلاعها، تغفو قبل أن تصحو وهي ترتجف، تغزوها هواجس ومداخلات ظنون، تحاول ملء إرادتها أن تعرف مصادر مطر هذا الورق الهاطل في خريف عاجل، عبثًا تحاول أن تلغيها أو ألاَّ تصدِّقها، بادئ ذي بدء أعياها الكفاح، ترجَّلت من مملكتها ورأت نفسها قانعة تركب سفينة – في ما مضى – ظلّت تركلها للرِّيح!!..

مرضت ووجدت نفسها في مشفى، حاولت أن تستوعب حجم إعيائها، حاولت أن تقف على سرِّ الصَّحوة فيها، وكلَّما تشعر بدنوِّ مخالب الموت، ثمَّة أوراق تنقلها الريح تحطُّ قربها وتحقنها بمرح لا ينتهي، أسرار حياة نادرة، صحت من وعكتها ووجدت نفسها من جديد تسهر وتمشي في اللَّيل بحثًا عن بصيص ضوء من مكان ليس ببعيد يناديها، يشع بألق ونشوة في مكان ما من أغوارها!!..

يجيء دائمًا... كلَّما تخلو، تكاد تراه، تشعر بهمساته، بلمساته، يمضي صوب ينابيع دافئة، تمشي وكلُّها لهفة ولوعة، كلُّها يقين، ستلقي قشرة كهولتها وترتد – هكذا تُزمع – بين أحضانه إلى براءة طفولتها، ستمرُّ – هذا يقينُها – بسنواتها البائسة، تقصي تمرُّداتها، ترخي حبلَ عواطفها وتبكي في حضرة هذا الفارس المتيَّم، الشموخ يغدو في أرض الحلم تعاسة، هذا ما اعترفت به، بدأت تقرُّ أنَّها كانت حياة ترف خاسرة، ترغب في فكِّ هذا اللّغز، والبدء من جديد، تجهلُ منبع هذا السِّرِّ الهابط في زمنٍ مَسروق، شيءٌ أقوى وأعند، أروع وأخلد، هو موجود، محسوس وملموس، يأتيها على نحوٍ متواصل، يلجم وحدانيَّتها بحبل فرح يدوم، فرح رافقها أينما كانت وتكون، تهشُّ وتبشُّ نسماتُه على الرَّغم من عذوبتها، لم ترغب بذخ شيئ من أوقاتها الربيعيَّة للوقوف على هذه التحرُّشات الودودة، قانعةً كانت بما كانت عليه، بإصرار وعنـــاد تركب موجَ كلِّ بحر مهما كانت ضراوة

الرِّيح!!..
قالت المرآة: الحياةُ ضاعت!!..
تقولُ الأوراق: ما زال الأملُ قائمًا!!..
عيونُ اليوم لا تجرحها، عيونُ اليوم تدمع، بالأمس القريب كلُّ عين كانت طلقة ثاقبة، وكلُّ ثغر كان يفقدُ سراطَه القويم كلَّما تمشي، زمن ليس كما كان، كلمات ترقيها وتدفعها صوب غيوم لا تمطر، تتراكم الأوراق، تارةً تهملها، وطورًا للرِّيح تلقي بها، أجنحتها كسولة، عيناها لا تقرآن الأشياء، تولدُ الفصول وترحل، تورقُ الأغصان وتذبل، يباغتها إعياء يشلُّها، كلَّما تحاول أن تقرأ شيئًا من أوراق عمر توالد من بعد سبات، أوراق فارس استفاق في كيانها في خريف باكر!!..
في ما مضى أيضًا، لم تتحرَّ، ظلَّت تتعالى، كلَّما تصلُ حزمة أوراق معطَّرة، بريد يأتي مع إشراقة كلِّ يوم، البلابل واثقة تغرِّد، تشقشق بلا ملل أو كلل عصافيرُ البيت، ورودٌ تتفتَّح لتحرِّرَ دفقات عطور واختلاجات مكنوناتها، ترى بعين القلب المطر الورقي السَّابح، لكنَّ مشاعرَها زوارقُ ورقيَّةٌ تطفو على بحر واقع من سديم، بريد يأتي بطرق مغايرة، تارةً تقوم الريح بإيصاله، ومرَّات تجدُ الأوراق بين مناقير العصافير، تهبط لتحطَّها بين يديها، كلَّ صباحٍ حين تُبكر النهوض لتتوسَّط جنينةَ قصرها المنيف، تنهض من غير صرف انتباهه أو نظرة وترحل، أوراق تتبعها، تطير من حولها، أينما تكن، في فراشها، في مركبتها، في لحظات تجوالاتها، على سرير نومها، ومرَّات كانت تكتشف أوراقًا تتدلقُ من حقيبتها، من تحت وسادتها، كانت تهزُّ رأسها ببلادة وكانت من فرط تعاليها تضحك!!..

قلقٌ يحاصرُها، نومٌ يخاصمُها، شمسٌ لا تمسُّها بجدائل دافئة، عصافير ما عادت تمنح نغماتها كما كانت، وحدَها بقلق تجابهُ رياح تعاسة تهبّ، وأرهاط كوابيس تمطر، تريد أن تعرف ما الذي حصل، تقف أمام نافذة غرفتها، ليل لم يعد كمـــا

كان، سجَّادة حالكة بلا نجوم، غفت النَّسمات وذبلت بغتة أغصان فرح الكبرياء، ما عادت الأوراق تمطر، صباحات فقدت حلاوتها، تفتح حقيبتها، تهرب إلى جنينة قصرها، لا ريح تحمل البريد، عصافير هجرت عادتها وموسيقى تشعُّ من مكانٍ ما، مكانٍ يدغدغ، فارس قريب يلاطف من وراء حجاب، أين تجده؟؟.. تريد أن تبكي وتعلن بجهر الصوت هزيمتها، ستبكي أمامه، تريده، ستركع إن وجدَته، هذا ما أعلنته صائحةً من نافذة غرفتها ودوَّن اعترافها اللَّيلُ والنَّهار، تواصل بحثها بجنون ولوعة، وكلَّ صباحٍ تجدها خادمتها، جثة ذابلة عند عتبة باب حديقة المنزل!!..

عاشقٌ غيور ظلَّ يمطرها بلا ملل وابل أوراق!!..
عاشقٌ ظلَّ برغبة يركب قطار الرِّيح، وينثرُ للحياة حقائب تدلق أوراقًا!!..
عاشقٌ اختفى وتركها عصفورةً بلا مأوى، عشُّها وابل أوراق!!..
بحثت في قواميس العاشقين، فتَّشت رفوفَ ماضيها، كلَّ مَن باغتها بتعجُّب أو نظرة ولَه، عشرون عامًا والبريدُ ظلَّ، على الرَّغم من تغاضيها، يمرّ، لِمَ توقَّف؟؟.. (تصرخُ أغوارها)، تندفع وهي تتَّكئ على كلِّ مسندٍ يسندها، شيخوخة تبتلعها، لا أوراق تأتي في خريف الرَّغبات!!..
ضباب، بياض، وجدت نفسَها على سرير كئيب، غشاوة وهذيان (أوراق، أوراق) تهذي، أوراق كانت تشعرها وتلهمها بأنوثتها وإنسانيَّتها، أوراق كانت تذكي فيها في ما مضى نيران فرح مستديم، (أوراق، أوراق)، كلَّما تصرخ تهرع ممرِّضة ودودة، تهزُّ رأسها، تحقنُها بمصل مهدِّئ، تتركها جثَّةً تخمدُ على مهل!!..
تحدِّق في ذهول!!..
صورة شخص يبتسم معلَّقة أمامها منتصف الجدار!!..
وجهٌ صَبوح، عينان ناطقتان، وثغرٌ منفرجٌ يمطر بلا انقطاع وابل أوراق!!..
رغباتٌ تستفيق، نيرانٌ تخمد، أغنياتٌ تتبعث، قلبٌ عاجز، أوراقٌ من غير توقُّف

تهطل!!..

– ما الذي يشدُّك إليه؟؟.. (قالت الممرِّضة).

ظلَّت تنحتُ بصرَها وهي تطاردُ رفوف أوراق تطير وتهطل عليها.

– كان مغرَمًا بقاتلة!!.. (أردفتِ الممرضة).

ضوءٌ ينهمر، نداءٌ يستفيق، طفولةٌ تستردُّ براءتها، أوراقٌ تتدلق، عمرٌ صار قطارًا لا يتوقَّف!!..

– روى مشاعرَها بدمه!!.. (صاحتِ الممرِّضة).

(أوراق، أوراق)، عويلٌ وصهيل، ريحٌ تباغت، وعصافيرُ تضجّ، زرعتِ الممرِّضة إبرة المغذِّي في ذراعها!!..

– عشرون عامًا ظلَّ يكتبُ لها!!..

(صاحتِ الممرِّضة قبل أن تصفقَ البابَ في غضب)!!..

آخرُ ما نطقت به وهي تنحتُ بصرها في الصُّورة الماثلة أمامها على جدار الرّدهة:

– هو..هو..هو..هو..و..و..و..و..ووووووووه ..!!

(ما تقوله النّسوة في تجمُّعاتهنّ).

لحظةَ ماتت انتشلوها من بين ركام أوراق كانت تتدلق من عينَيه.

لحظةَ شيَّعوها كانت أوراق مثل الطَّائرات تطيرُ خلف الموكب.

لحظةَ واروها الثّرى، أمطرتِ الغيومُ أوراقًا غطَّت قبرها، أوراقًا كانت تنطلق من عينَي طبيبٍ وسيمٍ خجول، كان طبيبَها الخاصّ، عشرون عامًا ظلَّ يكتبُ لها رسائل إعجابٍ ورغبةٍ في أن يكون لها وتكون له، قبل أن يقتلَه اليأس!!..

قصَّةٌ نُشرت في مجلَّة "سردم العربي"، العدد ١٩/٢٠٠٨.

في حَدَثَين مُنفَصِلَين

ربَّما ستقولُ إنِّي إنسانٌ حالِم، لكنِّي لستُ بالوحيد. آملُ أن تنضمَّ إلينا يومًا، فيغدو العالَمُ واحدًا. ت. إيروس بالديسيرا

(ما هو مُشاع في زقاقنا)!!..
هي فتاةٌ حباها الله بصمت وديع ومنحها عينَين لا تملاَّن الدُّموع!!..
(سيرةٌ متواضعةٌ وربَّما مُختَزَلَة)!!..
قُتل أبوها في الحرب وهي في الثانية من العمر!!..
تزوَّجت أمُّها من عسكريٍّ وهي في الخامسة من العمر!!..
قُتل زوج الأمِّ في الحرب وهي في السَّابعة من العمر!!..
تزوَّجت أمُّها من شاب طمع في أموال الشهيدَين وهي في التاسعة من العمر!!..
لعبَ الشاب لعبتَه، وتزوَّج فتاةً أحبَّها، وهي في الحادية عشرة من العمر!!..
ظلَّت أمُّها تتنقَّل من زوج إلى زوج، ويومَ ماتت تحت عجلة مركبة، كانت هي في التاسعة عشرة من العمر!!..

حَدَثٌ أوَّل!!..

(١)

ظلَّت، مثلما مرَّت لياليها، واجمة، كلُّ حلم منفلت يرفض الولوج إلى روحها، تقلِّب أوراق السماء، تريد مَن يوقف نزيف الروح ويخمد طوفان الهوس المتنامي فيها، وعند انبلاج الصُّبح،تقضي وقتًا قبل أن تجد طائر الوسن يسكن عينَيها، لقد وجدته من بعد كبوات، فتى أحلام، شاب سكن الزّقاق، فكَّرت أن تلجمه وتزيح به إخفاقاتها المتلاحقة، توقَّف لحظة، رآها واقفة بباب البيت، كان يحمل حفنة كتب وهو في طريقه إلى مدرسته، اقترب منها وهمس، أفقدها سحر عينَيه رشدَها، قابلته، وتبادلا بعض حوار وكثير صمت ورسالتَين قبل أن يختفي؛ وسمعت أنه غادر البلد لتكملة دراسته، نامت على موعدٍ لذيذٍ طال!!..

(٢)

وقفت أمامه، ليس هو من تعرَّفت عليه، عشر سنوات وهي تصطلي على نيران لهفة وأمل، ملامح باردة وعينان لا تريان بوضوح، لقد سمن كثيرًا وشابَ قبل أوانه، فتى الأحلام صار فتى كوابيس، ظلَّ يسكنها طيلة سنوات تغرُّبه عن البلاد، ورفضت فرص زواج نادرة، وظلت تنام على سرير لا يبلى، في اللَّيل تلقي بمرساتها إلى متاهات تعود منها عند الفجر وهي تنوء بثقل أجفان، وفي النَّهار لا تني تترنَّمُ بآمال ورغبات تنمو وتأخذها صوب اليوم المأمول: ها هو يقف وهي تقف أمامه، ليس من لهفة أو رغبة ولا حرارة في قسماته، كتلة ثلج آيل للذوبان، تمالكت على نفسها وراحت تنحت غضبها فيه وهي تلتهم بعينَيها امرأةً ثلجيَّةَ الروح والجسد، دميةً استوردها من ديار الغربة وراح يتباهى بها وهو يقدِّمها لمَن حضر احتفال عودته، كتمت ما أعتمل فيها وكظمت غيظها واندفعت خارجة كمجنونة!!..

(ملحق)!!..

قالت امرأة:

– مسكينة، كلَّما أحبَّت شخصًا، لعبَ عليها وغاب!!..

قالت أخرى:

– يبدو أن حظَّها مثل حظِّ أمِّها، صارت تبدل خيبات كما كانت أمُّها تبدل رجالاً!!..

قالت ثالثة:

– لو كنت مكانها لقذفت نفسي في النَّهر وتخلَّصت من هذه الدُّنيا اللَّئيمة!!..

(ملخَّص ما جرى لها في الحَدَث الرَّقم واحد)!!..

بعدما فشلت في كسب ودِّ الفتى، عادت إلى غرفتها. وكما كانت تفعل سابقًا، بكت بصمت في محاولة لإزاحة ما في أغوارها من ترسُّبات هموم، وقفت أمام المرآة وأطالت التَّحديق ثمَّ استدارت واتَّجهت صوب المغسلة، أزاحت قشور الألم، وقرَّرت أن تلقي بصنَّارة حظِّها من جديد إلى بحر الطَّريق!!..

الحَدَثُ الثَّاني!!..

(١)

وقفت وموج التَّردُّد يلعب بها، كان الماء يغربل المسافة الفاصلة بينهما، كانت تنثر دفعات هلعها وما توالد من جرَّاء لهاثها وهي تنطلق صوب النَّهر، تأرجحت ما بين رغبة ملحَّة وخوف متنامٍ، قرار وجدته مناسبًا، ليس ثمَّة حلٌّ آخر، صارتِ الدُّنيا ظلامًا، وروحها لم تعد تحتمل، اندفعت تركض وكلُّها رغبة أن تنهي جدل تعاسة جثمت مذ صارت نطفة، فطفلة، ففتاة مسكونة برغبة واحدة: أن

تجد من يناصفها الفراش. لم تستطع كبح جماح الغضب وهي ترى رجلاً واعدها أن يلملم ما تبقَّى منها ويبني لها كما ترغب دارًا للسعادة، وجدته يمشي وكلُّه أحلام، ومعه امرأة من نار. انسحبت، وظلَّت تنتحب في صمت، يومان وهي تشعر بكوابيس لا تدعها أن تزيل تكلُّسات الموت المتراكم في أغوارها، قامت وكسرت المرآة لحظة رأت ذبولها، حطَّمت مغسلة البيت، لبست عباءتها ومشت وراء ضوء يناديها، حلم يترنَّم ويمشي، ساحر وجاذب، وجدت ماء يراوغ ويرقص، ريحًا تدحرج رغبات لكم لهثت من أجلها، سرورًا يسبح فوق بساط يتماوج، شيئًا ما مسَّها وسكنته، حلَّقت عاليًا وهبطت في دنيا جديدة!!..

(٢)

رأته من كثب ولم تعد تحتمل منظره، كان يتراقص، ورغبت أن تشاطره الرَّقص!!..

(ملحقٌ ذو صِلَة)!!..

كانت في الخمسين، تقدَّم إليها رجلٌ متزوِّجٌ أقسمَ أنَّه عشقَها، ولمَّا عرفت الزوجة بما يجري من وراءها، دسَّتِ السُّمَّ في طعام زوجها، وحين همد قامت في جنح اللَّيل ونقلت جثَّته إلى النَّهر!!..

(ملَّخصُ ما جرى)!!..

كانت لا تحتملُ رؤيةَ الزَّوجة، كلَّما تمرُّ تشعر أنَّ نمرًا يمدُّ مخالبَه في رغبة لخنقها، صارح الزوج زوجته وتقبَّلت كلامه، شهودٌ أكَّدوا أنَّها وافقت على ذلك، لكنَّ الزَّوج اختفى بعد ليلتَين من مكاشفته زوجتَه بالأمر!!..

(ما تناثرَ من حكايات)!!..

– أنا سمعتها وهي ترغب بزواجه منها طمعًا بأملاكها!!.. (قالت امرأة).
– لا بدَّ أنَّها سبب هروبه من البيت!!.. (قالت أخرى).
– الغد سيأتي بما هو خافٍ!!.. (قالت ثالثة).

(ما رَوَته خادمتُها)!!..

كانت تجلس على الشّرفة، عصف ريح، حاولت أن أسحبها لكنَّها أَبَت، كانت تبكي وهي تشكو غياب الرَّجل الذي وَعدَها بالزَّواج، يومان وهي خارج الزَّمن، وحين جلبت لها شالَها، قذفَته ودخلت غرفتَها قبل أن تندفعَ إلى خارج البيت!!..

(ما هو نهاية)!!..

لحظة هربت لتنتحر، تردَّدت وكادت أن تستعيد صوابها لولا أنَّها رأت جسدًا يدحرجه الماء، فقدت توازنَها وألقت بنفسها إلى اللّجَّة الثائرة!!..

(ملحقٌ آخر)!!..

تمَّ العثور على الخطيب منفوخَ الجسد، وتمَّ اكتشاف السُّمِّ الذي دُسَّ في طعامه متوغِّلاً إلى عروقه!!..
الفتاة ما تزال تجلس بباب البيت، كثيرٌ من النِّساء يتصوَّرن أنَّها لمّا تَزَلْ تبحث عن وليمة جديدة أو صيد آخر، لكن ما يسكنُها سؤالُ كلِّ يومٍ تجلسُ فيه عندَ عتبة الباب، ولا تزالُ تبحثُ عن أجابةٍ له: لِمَ يرفضُني البشرُ والقدر؟؟..

قصَّةٌ نُشرت في جريدة "الصَّباح"، ملحق "أدب وثقافة"، في الخامس عشر من شباط (فبراير) ٢٠٠٦.

سرابٌ

أو ترنيمةٌ لغزالة القلب

وبعد صبرٍ طويل، احتفَت بنا الطُّرقُ التي سنمضي عليها.
جيمس جويس

قلتِ: لا تُفقدني صوابي،على مهلٍ حرِّر سهامَ الرَّغبة يا عزيزي!!..
قلت: بيَ شوقٌ جارف، دَعيني أرسمُكِ وَفق ما أشتهي...
قلتِ: لا تبذخْ في الوصف، أكادُ أن أطير...
قلت: ليس قبل أن تغرِّد عنادل روحي، ما زلت في الرّقعة الاستهلاليَّة يا سيِّدتي...
قلتِ: أعطِني فرصةً لألتقط أنفاسي، لأدفن خيبات الماضي وأطهِّر قلبي من رمادها...
قلت: سعادتي لن تكتمل يا (سراب) ما لم تستحمَّ في خلجان روحي، دَعيني أَمضِ وأتوغَّل، فالعمرُ لا يكفي لحظة فرح!!..

أميرةٌ بلا مملكة، أينما توجَدين، في أيِّ مدينة أو جزيـــرة، عيـــون ترغـــب أن

تتبرَّك بسرِّ هذا المرح فيك، وكنت أحاول أن أحولَ دون وصول الوشاة وأصحاب الجاه والمال إليك، ومضت سفينةُ الحبِّ تتهادى إلى حيث تمنَّينا!!..

قلتِ: مسكين هو العاشق، دائمًا تتناوشُه الألسن...
قلت: ثوب الجنون يسربلُه بعطر الفضيحة، مرصود محسود من يسكنه الهوى...

مَن تسلَّل – في غفلة منَّا – وعاث في أرض الحلم الخراب، لا دليل يرشدني إلى رأس خيط يُفضي إليك، قبلاتُنا لمَّا تزلْ تسترخي فوق أرائك الذات، همساتُنا في ليل الخوف والهروب ترتمي بدفء اللَّحظة في أرض الخيال، أتجوَّلُ وكلِّي يقين أنَّك ستباغتينني في كلِّ لحظة، أسمعُ نداءات تفل الدروب الملعونة بالظَّلام، ودائمًا أصلُ شجرتَنا، آهٍ، شجرة اللِّقاء الأوَّل، أقفُ وأناغي حروف إسمَينا وهي تفيضُ بسحر أناملك، آهٍ، دائمًا أجدُ بلبلاً يرمقني بحيرة، يفرُّ مذعورًا كلَّما رغبت أن أحاوره...
ماذا جرى؟؟..
مهاوٍ تجتذبني، ووسنٌ غادر مملكتي، أراني يا (سراب) في سراب أسعى، آهٍ، تذكَّرت، ألستِ مَن فسَّرَتِ السَّراب:
– لهجة المخدوعين!!..
كنَّا معًا، لا شيء يفصلنا سوى ظلامٍ متحلِّل، ورشقاتٍ رضاب تدفعُ حرارة الخوف من حولنا، لقد كان آخر ربيع وآخر مطر وآخر قنديل ظلّ يبث ضياءه...
ماذا جرى؟؟..
نسمةٌ تكفيني، همسةٌ أو حتَّى رشح عطر من عطورك، أو شبحك، وليكن كلّ ما أرغبه في الحلم مثلاً، تعالي وليكن ما يكن، تعرفين حدود رغباتي، عمق ينابيعي، وكم من حلم أودعتُه روحَك، أوَتذكرين ليلة همستِ:

– العاشقُ مثل الملح، والسَّهر هو الماء...
كلامٌ ساحرٌ من ثغر عَذب، تعالي لتلملمي أحلامي وتعيدي قيثارة الرَّغبة إلى ملعب الوجود، أتحرَّكُ وأراك تهربين، وكلَّما أسقط، أراني أحتضنُ شجرةَ الحبِّ في حديقة الزَّوراء، أعانقُها وتأخذني قيلولة جنون!!..

قلتِ: بيَ رغبةٌ أن يتفرَّجَ العالمُ علينا، بيَ رغبةٌ أن أصلبَهم دقيقةَ دهشةٍ إجلالاً لسعادتنا...
قلت: شرِسٌ هو العالم، مُفترس، كلَّما نَختلي يكشِّرُ أنيابه ويشهر مخالبه...
قلتِ: ليس بوسع أسلحة العالم أن تخدش جدران قلعتنا...
قلت: حقًّا، إيماءة منك تكفي لتحريك العالم صوب الهاوية، دعينا في قلب الفرح يا (سراب)...
قلتِ: هيهات، هيهات أن أفلتك من قبضة الفؤاد. خُذني إليك، خُذني،.خُذني بعنف، وليكُنِ العالمُ خصمَنا...
قلت: من أين لي بعشرات الثغور ومئات الأيدي لأستوعب هذه الفواكه دفعةً واحدة؟؟..
قلتِ: وَحدَك من استحقَّ هذا البستان، وَحدَك مَن كشف الغطاء عن جنوني، وأدخلني هذا السِّجنَ الجميل!!..

ماذا جرى؟؟..
كنَّا، يا (سراب)، فوق الشبهات، قلبي دليلي، لا بدَّ من رياح فوق العادة تدفعُ بنا وتجعلُ المتاهات مساكننا، لم تفتر رغبتي، سِرُّ ما هنالك يريدني، سِرٌّ وامض، ولن يخطر في بالي أنَّ خيوط مؤامرة التفت حولنا، فما بيننا، عنيد وراسخ. كان الأصيل يتهالك لحظةَ حلَّقت أسرابُ طائرات، جاءت لتبتلع فرحَنا...
قلتِ: السَّكاكينُ والنّبالُ لن تنالَ من الجدران الكونكريتيَّة...

هذا ما يدفعني ويمدُّني بزلال البحث، واهمٌ مَن ينبذُ فكرةَ أن يسكرَ العاشقُ بعطر ماضيه، آه، تذكَّرت، كانتِ القنابل تهطل وكان العالم يهرب ونحن نتشابك ونقذف ببصاقنا باتِّجاه الحشرات الحائمة. كان الكلُّ يهرب، لا أحد يعرف إلى أين يولي وجهَه...

قلت: سحقًا، لمَن تُقتلع الورود من بستان الزَّمن؟

قلتِ: لن أتزحزح، سأبقى لحراسة هذه الورود، لن أخشى أمطارَهم التَّافهة...

قلت: حبُّك، يا (سراب)، يكفي العالم...

تشابكنا من جديد، أسراب عصافير حائرة، لا بدَّ أنَّها اتَّفقت على أنَّنا مجانين، كانت تطير وتهبط... ليس في وِسعي تصديقُ ما يتناثرُ من أقاويل، غرماؤنا، يا (سراب)، أوهام، أشباح، إنَّهم يجهلون الحقائق، (سراب) ليست وهمًا، نبعًا اكتشفته، وشهد الغزاة على وقفتنا المشهودة في حديقة (الزَّوراء)!!..

قلتِ: إنَّهم ينشدون قردًا تركَ بيتَ الطَّاعة...

قلت: وهل يستوجب القرد كلَّ هذه البربريَّة؟

قلتِ: قردٌ ماكر، ذوَّبَ كيانَه في العالم...

قلت: وهم أشرار لا يهمُّهم العالم...

قلتِ: دَعِ الشَّرَّ ينطحُ الشَّرَّ...

كانتِ الشَّمس توزِّع ضحكاتها الأخيرة والعصافير اطمأنَّت أنَّنا لسنا غزاة، وظلَّتِ القنابل تحرث الفرح والحجر والشجر وتلاحق النَّاس حيثما وجدوا ملاذًا!!..

مَن لا يلهثُ خلف امرأة لا يعرف طعم الرَّاحة، راحتي أنت يا (سراب)، أنا الباحثَ عن سرِّ هذا اللّهاث، مَن يزرع قبلةً على خدِّ امرأة لا بدَّ أن يتَّخذها نولاً ليغزل حوله ضفيرة سنواته، في اللَّيل أراك في المدى ومضةً تستدرجني، وفي الصباح كنت أرقــدُ بالقرب من شجرتنا الحزينة، هكذا رأيتها، أمِن أجل هجران

العصافير أم من أجل غياب أناملك، سؤال لم يشغلني،كنت أرجِئُ ذلك ليوم المفاجأة!!..

قلتِ: كلُّ صدمةٍ حصانَةٌ للعاشق...
قلت: صدماتُك لا تبقي ولا تذرّ...
قلتِ: كيانُ العاشق لن يُمتصَّ ويبدَّد، لن أخاف عليك أبدًا!!..

قلت: فيك التناغيات النَّبيلة...
قلت: وفيكِ الأشواق البليلة...
قلتِ: فيك التهجُّداتُ الجميلة...
قلت: وفيكِ حرائقُ لا مَثيلَ لها...
تعانقنا وضحكنا ونمنا في ظل شجرتنا الزَّورائيَّة!!..

مَن لا يحبُّ لا يرى، وليس بالضَّرورة أنَّ مَن يرى يكونُ مُحِبًّا من طرازٍ نادر، أينما أبحث ترافقُني قصائدك، على الرَّغم من أنَّها صارت ينابيع تدفعني بجنون، أغامر وأمضي / الحبُّ إلى الأبد / لك وحدَك تفتح مدائني / فيك ما يبغيه وجداني / أنت لونُ دمي / اللَّحظاتُ من دونك كلُّها عماء / ليس الحبُّ كما قلتِ لي فرحٌ دائم، كلمة لا تزال محفورة على شجرة الحبّ!!..

قلتِ: ليتَ الحياة ليلٌ طويل...
قلت: وهل يكفي الحبُّ لإنتاج السَّعادة؟
قلتِ: في اللِّيل يرفض العاشق الطعام والضَّوء والنَّوم...
قلت: يا (سراب)ي، لم يخطِئ مَن سَمَّاك (سراب)...
قلتِ: كلُّ كائن يُسجَّلُ اسمُه معه حين يطلُّ على العالم...
قلت: هيهات أن أموت وأنا أربط مصيري بـــ (سراب)...

قالوا: الكَيُّ علاجُك...
قالوا: أبحث عن (سراب) آخر، دنيانا حفنةُ سرابات...
قالوا: يبحثُ عن النجوم في سماء ابتلعتها الغيوم...
محاربٌ عنيدٌ مَن يعشق، من منفًى لمنفى، من ليلٍ لصباح، تدفعُني الرَّغبة وحرائقُها، ساد الغرماء الذُّهول وارتضى بعضُهم الهزيمة، صارت (سراب) حقيقة، ونبت الحبُّ ثانيةً، وعادتِ الشَّجرةُ من جديد لتورقَ وتغويَ العصافير، كنَّا معًا، هي تلتهمُني بنظراتها البريئة، وأنا أحاولُ إزاحةَ سَجَف الخوف من حولي...
– لِمَ فعلتِ كلَّ هذا يا (سراب)؟؟..
– تحدَّيتُ الغرماء بك، توَّهموا أنَّك غير جدير بفتنَتي...
– كدتُ أن أضيع يا (سراب)...
– عاشقي لا يموت...
– لا تفعَليها ثانيةً يا (سراب)...
– إنتهت معركتُنا...
– بل قولي ربحناها...
فاضت من بين شفتَيها ابتسامة، رفعت عينَيها وندَّت منها تنهيدة طويلة:
– يا لَلهول، لكم هي سماؤنا بديعة بلا وحوش!!..
تشابكت أناملنا، واشتدَّ نبض القلبَين. هكذا صرحت العيون، كان العالم يتحرَّك، يغمره دفء الأصيل، ومضينا لنستكملَ الحوارَ في ظلِّ شجرة داخل حديقة الزَّوراء!!..

قصَّةٌ نُشرت في مجلَّة "دجلة"، العدد ١٤ لعام ٢٠٠٦، وفي مجلَّة "سردم العربي"، العدد ١٠ لعام ٢٠٠٦.

أنا كاتِب تلك القصَّة

عَلامَ نكدح وحدَنا؟ نكدحُ ونكدحُ أوَّلَ الآخرين، ونئنُّ إلى الأبد، يقذفُنا حزنٌ إلى حزن. تنيسون

جاء تحت عنوان (جريمة الأسبوع) في صفحة (مجرمون وجرائم) بإحدى المجلاَّت: رجلٌ ذو نفوذ ومنصب، عاد من وظيفته ذات أصيل وتفاجأ أنَّ زوجتَه لم تكن – كما كانت – واقفة مع طفلَيها أمام باب المنزل، فتح الباب بمفتاحه الخاص ودخل ليفاجئها بهديَّة لمرور سبع سنوات على زواجهما، بدأ يبحث في غرف البيت، غرفة، غرفة، صعد درجات السلّم، وحين فتح بابَ غرفة النوم، رأى ما رأى!!..

قال ضابطُ التحرِّي للطَّبيب النَّفسانيّ:
– لم نجد تفسيرًا آخر.
– أزمته تتطلَّبُ جهودًا استثنائيَّة.
– سنتركه ونراقبه من كثب.

(وفي المجلَّة عينِها بعد مرور سنة):
دوى طلقٌ ناريٌّ في البيت الذي صار قضيَّة البلدة، وتمَّ العثــور على المجنــون

غاطسًا في بركة دمه، وكانت المفاجأة في غرفة النوم: جسد الممرضة زوجته الثانية يتدلَّى من المروحة السقفيَّة!!..

هوامشُ من القضيَّة!!..
في غرفة النوم، ومن المروحة السقفيَّة، يتدلَّى جسد امرأة وطفلين، وبعد مرور سنة كاملة يتمُّ العثور على جسد امرأة يتدلَّى من المروحة عينِها.
ممرِّضة تزوَّجته وتعاهدت أن تعيدَه إلى رُشده.
طبيب نفساني شابّ قرَّر أن يردَّ إليه صوابَه.
تتناثر من الجيران شكوك كثيرة حوله مذ سكن الزّقاق، اجتمعت معظم أقوالهم: في كلِّ ليلة تنطلق صرخات وملاسنات تمتدُّ حتى وقتٍ متأخِّرٍ من اللَّيل.
لم تجدِ الشرطةُ دليلاً حول ما أكَّده بخصوص زواجهما، إذ جاء في إفادته أنَّه أحبَّها وهربا من مدينة (البصرة)، وكانت تصلهما تهديدات متواصلة من أهلها تطالب بالثأر.
لم تجد شعبة التحرِّي أيَّ (هديَّة) كما زعم، ولم يكن يوم ارتكاب الجريمة (يوم زواج) كما جاء في ورقة عقد القران!!..

(المجلَّةُ عينُها بعد مرور أسبوع):
صدِّقونا يا معشرَ القرّاء، إنَّ ما نشرناه على صفحة (مجرمون وجرائم) بخصوص القضيَّة لم ندلِ فيها دلوًا، اعتمدنا على ما اقتطفناه من الصحف الأخرى وما روَّجت له الفضائيَّات ومواقع هامَّة على شبكة الإنترنت، كنَّا ننشد تفعيل مجلَّتنا وتلوينها بكلِّ ما هو جادّ ومثير ولافت النَّظر. نقدِّم اعتذارنا كون القضيَّة كانت مجرَّد لعبة من كاتب يبحث عن الشهرة وجذب الانتباه إلى ما يكتب من قصص قصيرة تتخذ من الطرافة واللاَّمعقول ثيمات!!..

(أوراق مبعثرة تمَّ العثور عليها في جيب المنتحر واستغرق ترتيبُها وقتًا بعد عرضها على لجنة متخصِّصة من نقّاد وأدباء، وتمَّ التوصُّل إلى هذه الصيغة)!!..

الورقة الأولى :

كلَّما ألتقيه يباغتني قلق ممض، ولغز محيِّر – ليس بغريبٍ عليّ – يشعُّ من عينَيه، يتملَّكني شعور أنِّي أعرفه من خطواته التي تشبه لحدٍّ ما خطواتي، من نظراته، من حركاته!!.. فهو لا يتركني لحالي، يرافقني في حلّي وترحالي، حاولت مكاشفته، لكنَّه تجنَّبني بادئ ذي بدء، وأحيانًا كانت تتوفَّر فرص لذلك، بيدَ أنَّ إرادتي هي التي كانت تتخاذلُ أوان المجابهة!!..

الورقة الثانية :

كنت قد أنهيت وجبة غدائي على عجل كي أتخلَّص منه، خصيم فوق كلِّ احتمال، أينما أجلس أو أمشي يأتي ويفرض نفسه رفيقًا ثقيلاً تتوجَّبُ إطاعتُه، عند مكان غسل اليدَين لاصقني كظلّي، ارتجفت أوصالي ورأيته – عبر المرآة – مرتبكًا ينحت عينَيه في عينيّ، سقطت قطعة الصابون من يدي ورأيته يحرِّر هو أيضًا صابونته، حاولت أن أتلافى نظراته، قوَّة غريبة تجذبني إليه، رأيت في عينَيه نداءً وتوسُّلاً وخوفًا يتنامى، قبل أن تنبئُني همهماتٌ أنِّي صرفت وقتًا أطول ممَّا يجب أمام المغسلة، اعتذرت من المتذمِّرين ورائي بهزَّة من رأسي وابتسامة، فقابلوني بهزَّة من أيديهم وحركة من رؤوسهم، نقدت حسابي واندفعت هاربًا!!..

الورقة الثالثة :

إتَّخذتُ قرارًا أن أتناول طعامي في مطعم آخر بعدما أتعبني بحضوره المتواصل، عنيد يوجَدُ أينما أكون، لحظة جلست مررت عينَيّ باحتراس وتفحَّصت الوجوه المنهمكة بالأكل، سادني ارتياح، لكن أن يباغتني لحظة وضع النَّادل أطبـــاق

الطَّعام أمامي شيء لا يسرُّ بطبيعة الحال، لا أعرف كيف أنهيتُ أكلي، خالسته النَّظر ووجدتُه ينحتُ بصره بشيء من الرّيبة فيّ، حاولت أن أتحاشاه، لكنَّه مارس براعته ومكره وظلَّ يبتسم ويمتصُّ زخم ذعري كلَّما كان ينمو، سقطت الملعقة من يدي مرَّتين، وشاطرني من باب المجاملة وحرَّر هو الآخر ملعقته مرَّتين، وربَّما فعل ذلك بغية أن يكبحَ جماح ردَّة الفعل فيَّ إن لم تكن سخرية لإثارة هلوساتي!!..

الورقة الرَّابعة :

ملامحُ لا غبار عليها، وجهٌ بريء وعينان بلا عدوانيَّة، لكنَّ وجودَه يربكني، يقوِّض من فرص نقاهتي، كلَّما يأتي يطالبني بإطاعته والسير معه كيفما يرغب، حاولت أن أفلت منه، تحايلت لكنَّني فشلت، شيء يسكنني لا يريدني أن أهرب منه، يحبِّبني إليه، رغبت في أن أجلسه على مائدة حوار، قرَّرت أن أستغور مراميه أو على أقل تقدير أن يكاشفني ما في دخيلته من نيَّاتٍ تجاهي، هو ليس برفيق، هو أشبه إلى حدٍّ ما بقرين عنيد هَلَّ على أفق حياتي – من غير سابق ميعاد – مذ صرت ضحيَّةً بين يدَي طبيب نفساني زعم أنَّه سيعيدني إلى سابق أيَّامي.

قال لي: تجنَّب إطالة النَّظر في عيونه!!..

قلت له: تطلب منِّي المستحيل، بات يسيطرُ على أغواري.

قال: إيَّاك أن تختلي وحيدًا، كُن دائمًا وسط الحاشدين!!..

كنت قد تذكَّرت كلام طبيبي لحظة اخترت أن أتناول غدائي في مطعم داخل سوق البلدة، خلته مكانًا آمنًا،وحصل ما حصل!!..

الورقة الخامسة :

صرت في الشَّارع، أريد أن أهرب، أريد أن أتخلَّص من الهلع الذي ولَّـــده فيّ،

رأيت زقاقًا، وجدته خيرَ منفذٍ لمراوغته، باغتني رهطُ صبيان، لحظة رأوني رأيتهم ينكمشون وينسحبون ويلتصقون بجدران المنازل الطينيَّة، خلتهم من فرط أخلاقهم أفسحوا في الطريق لي، سرعان ما بدَّلت وجهة نظري لحظة لمحتهم يتسلَّحون بحجارة وعصي وعلب فارغة، وازنت من سيري وحاولت ألاَّ أتلفَّت أو أتحرَّى عن الفضولي الذي ظلَّ يتبعني، قدر المستطاع حاولت أن أبدو مسالمًا كي أتجنَّب ما تحسَّسته من رهط الصبيان، مشيت بهدوء تحسُّبًا للطوارئ، اصطنعت بسمة مخادعة كي أكسبهم، وحين صرت بموازاتهم، تململوا، ورأيت الرّعب يسكن أحداقهم!!..

(قصاصة صغيرة تمَّ العثور عليها بين الأوراق):
– لا تبدي عدوانيَّة أمام الصبيان!!..
تذكَّرت قول طبيبي، وأنا أجتازهم!!..

الورقة السَّادسة :

أنا رجل بائس، هكذا تشير صحيفتي، بؤسي يورثني الشكوك، بؤسي في تركيبة مشاعري وتقليعة طباعي، أقف أمام المرآة، أريد أن أعرف الفوارق بيني وبين الناس، لا أجد غرابة ولا تطرُّفًا في ملامحي، هيئتي كهيئتهم، يقول طبيبي: أنت تحاور نفسك في الطُّرقات، حاولت أن أتأكَّد من ذلك، كلّ من أجعله يراقبني يدهشني بما يرى، يقولون إنِّي مغرمٌ بالعزلة ومحاورة الحيوانات السَّائبة، أو أمشي في اللَّيل في كلِّ مكان معتم وخانق، وكلّ صغيرة وكبيرة مدوَّنة في ملفّ علاجي، يقولون إنِّي ضعت مرَّات، بطبيعة الحال العهدة على ناقلي الأخبار، مرَّةً كما يقولون وجدوني فوق مقبرة أتوسَّدُ ثلاثة قبور متلاصقة، أنوح نوح الأيامى الثاكلات، وكنت، بحَسَب زعم ناقل الخبر، أهذي هذاء المنكوبين، وأكَّدوا أنَّهم انتزعوني عنوةً من شاهدة القبــر الكبير الذي يتوسَّط قبرَين صغيرَين، وفي قولٍ

آخر جاء ما هو أغرب، إذ ذكر قوَّال أنِّي كنت أمتطي صهوة (بقرة), تصوَّروا المشهد، (بقرة) وليس (حمارًا) أو(بعيرًا) في حقل بلا نهاية. و كنت في عداد المفقودين يوم هزَّ المدينة انفجارٌ ولاكَ حشدًا من الناس، لكنَّ صبيًّا كما هو مدوَّنٌ في لائحة علاجي وجدني نائمًا في وجار كلب مع أربعة جراء. ويوم ضعت أيضًا اكتشفوني داخل مجمدة المنزل، ولحسن الحظ كما قالت زوجتي وطبيبة علَّتي: أحمد الله أن تيَّار الكهرباء كان مقطوعًا منذ أسبوع!!.. مرَّةً فوق عمود الكهرباء، ومرَّةً كنت أمشي عاريًا، ومرَّةً اهتدوا إليّ عبر مكبِّرات الصوت وهي تنادي من فوق مئذنة الجامع، هرعت امرأة لحظة سمعت النِّداء، وأصرَّت على أنَّها، بفراستها الأنثويَّة، حين مدَّت يدها وفيها قطعة نقديَّة، عرفت الشحَّاذ الذي يتنكَّر بملابس النِّساء أمام باب الجامع: إنَّه رجل، كادت زوجتي تترك المنزل لولا قسمي الذي أقسمته بصياح وبكاء ألاَّ أعودَ إلى الحالة ثانيةً على الرَّغم من يقيني أنَّ ما يحصُل مجرَّد تهويمات وخلط في أوراق عقولهم، ملابسات كثيرة أحاول أن أنفيها، لكنَّ طبيبي ظلَّ يلحُّ ويرسمُ بالدَّليل القاطع لي كلَّ مشهد منقول بأمانة عنِّي مقرونًا بأدلَّة ترفض كلَّ نقاش!!..

الورقة السَّابعة :

مطرٌ خشن، حاولت أن أتَّقيه، كلُّ شيء ينهمر، حجرٌ وعلبٌ وعصي، شعرت بالدَّم يسيلُ و يملح لساني، هويت ولاذ الصّبيان بالفرار، وجدته يقعي قبالتي ويمدُّ يديه لإسعافي، لأوَّل مرَّة أجده مسالمًا، ودودًا، خلاف ما كان يبدي في كلِّ ملاحقاته السَّابقة، كان يبتسم وهو يعالجني، أخرجَ منديلَه وعصب رأسي، سندَني وأنا أنهض، وقادني إلى المنزل، طرقَ هو الباب، خرجت زوجتي وهي تبتسم كعادتها، قالت:

- أراك على أحسن حال!!..

– أحسن حال، ما زلت تسخرين منِّي.
– وجهك ينوِّر، يبدو أنَّ العلاج كان على ما يرام.
– دَعينا ندخلْ أوَّلاً.
ألتفت لأسحبه معي، صاحت:
– ماذا دهاك، أعُدتَ إلى جنونك؟؟..
كنت أحاول أن أجرّه وكان يرفض. صحت:
– لا تخشى، أدخل معي.
صاحت ثانية:
– ستلمّ العالمَ علينا، أدخل.
– هيَّا ادخل (قلتُ له).
– هل جننت، مع مَن تتكلَّم.
إلتفتُّ إليها وصحت:
– أنقذني من الموت.
– ماذا دهاك، أيّ موت، هل عدت؟؟.. (قاطعتها):
– كلّ هذا الدَّم على رأسي وتقولين أيّ موت؟!..
مسكت يدي وجرَّتني إلى الداخل، أمام المرآة انتزعت من رأسي خرقة بالية، وصاحت بوجهي:
– ما الذي تحمل، أنظر إلى نفسك، أنت على ما يرام.
– أنا لم أفعل شيئًا، لقد جاءني في الوقت المناسب وأنقذني من الصّبيان.
استجمعت قواها وسحبتني إلى السَّرير، ناولتني قرصًا منوِّمًا وكأسَ ماء!!..

الورقة الثامنة :

يدٌ تداعبني. على الرَّغم من قوَّة الوهن وشراسة النوم نهضت.
– أنا هو، أنا هو!!..

قذفت الملاءة من فوقي وجلست، كان يجلس في هدوء بالقرب من رأسي وهو يتلفَّت.

– كيف تشعر الآن؟؟..

– ألمٌ يواصلُ طحنَ رأسي.

– سيزول، هيَّا اجلبْ إناءَك لننزلَ إلى الشَّارع.

كان صادقًا، وفي عينَيه تحدٍّ، تراجعت عن كلِّ ما كوَّنت حوله من شكوك.

– أشعر بإرهاق.

– سأسندُك.

– وهي؟

ــ لا تعيرُها أهمِّيَّة!!..

سامرَني اللَّيل، تحاورنا، عن العذاب وسلطته، عن الفوضى ومروِّجيها، عن الحرِّيَّة ورافضيها، كان داهيةً في كلِّ محفل يخوض فيه، وكل سؤال أطرحه كان هو جُهَينَتَه. قال أيضًا:

– هل تعرف لم حقن الجسد البشري بالأضداد؟؟..

– قد لا أجد تفسيرًا يُقنعك!!..

– من أجل الرُّقي يا نديمي، الرُّقي الأخلاقي، النقائضُ هي ميزان الوجود، كي يبقى الإنسان متأرجحًا بين اليأس والأمل، فالغايات العظمى لا تدرَك، ما لم تكن هناك جدليَّة قائمة، تدفع الإنسان ليواصلَ الكفاح لتحقيق رغبته – بعد كلِّ كبوة – بإصرارٍ أكثر، وعناد.

– وهل إنَّنا في مرتبة متقدِّمة؟

– أمامنا فرصة نبيلة لتحقيق هذا الحلم.

– كيف؟؟..

– أن تواصل منهجك، أن لا تحيد عن هذا الدَّرب البهيج.

– وكيف أتجنَّبُ المُعيقات؟

– لا تُعيرها أذنًا صاغية، ثِقْ أنْ لا نزوة قصوى أمام تصدُّع الذَّات، والذين يجهدون لخنق حرِّيَّتَك ما هم بعقلاء، فالحرِّيَّة لا تقترنُ بمَن يتسقَّطُ زللَ الآخرين.

– يا لهم من مجانين.

– بل يا لهن من كلاب!

– نعم، كلاب.

صمت برهةً ثمَّ عاود كلامه بعد أن التفت إلى الوراء:

– لولا الظُّنون لما تمَّ اكتشاف الفلسفة وعلم الروحانيَّات ومضارب الشَّعوذة من قراءة الكفِّ والأبراج والبايروسايكولوجي.

– الآن بدأتُ أعي، الآن فقط.

– والآن بإمكاني أن أطمئنَّ عليك!!..

ومع تباشير الفجر تركني في توهان، وانسحب!!..

الورقة التَّاسعة :

ما فهتُ به نفَته زوجتي، صاحت:

– ستأكل قلبي بأوهامك.

– صدِّقيني ولو لمرَّة واحدة.

لم تُذعن لكلامي، قامت وخرجت وهي تولول.

بقيت في حيرة من أمري أحاول أن أستعيده لحياتي، رجل ساندني وفهمني ودلاّني دروب الحرِّيَّة والسَّعادة، وجدت نفسي تندفع في رحلات ليليَّة ونهاريَّة تطول، صرت سفينة بلا ربَّان تجوبُ البحارَ والمحيطات، صرت طائرًا بلا عشٍّ يحلِّقُ من شجرة إلى شجرة، لا ليلي يخمد هلوساتي، ولا النَّهار يدلّني على مَن فقدت.

الورقة العاشرة :

قال لي طبيبي:

- بدأت تحلم.

- ليتني أجده.

- حين تكون الرَّغبة صادقة تأتي الحلول بلا تعقيد!!..

- لا أحد يفهمني إلاَّ هو.

- أخيرًا وجدت ذاتك!!..

(ورقة ممزَّقة تمَّ ترتيبُها).

في كلِّ مرَّةٍ كنتُ أخرجُ من عيادة طبيبي، كان ينتظرني ويرافقني، صار يسكن خيالي، حاولت أن أسحبه لواقعيَّتي، وظلَّ هاجسًا يشغلُني وحلمًا مضيت أبحثُ عن تفسيره.

(ورقة مغموسة بدم المنتحر تمَّت قراءة كلماتها بمجهرٍ دقيقٍ جدًّا).

يوم أسود عاد لشاشة ذهني، وبدأت – من جديد – أقبعُ داخل زنزانة الحياة، نزيف الحزن واشتداد ضربات القلب وجفاء النَّوم وفقدان الشهيَّة والرغبة في الموت، ما بين لحظة ولحظة، أفقدني توازني والاتِّصال بكلِّ شيء من حولي، ويأخذني موجًا بلا رحمة!!..

صندوقُ الوِجدان

أنا وأنت كوكبان في الكون، مُسافران ضائِعان. أنا وأنت حرفان مُبهَمان، لا يفكُّ رمزَيهما أنسٌ ولا جان. بيشنک

ليس بالضرورة أن تعني هذه القصة أحدًا، وإن أمكنَ أن تعني البعض من باب المصادفة.

في غبشٍ آيلٍ إلى الصَّحو، كان يندفع مثل دلافين في لحظة مرح، رافعًا أنفه، يتبجَّح بخطواته المتثاقلة، تلك الخطوات المتناغمة ما بين جسده المتناسق وخياله الخصب، لا هو طويل ولا قصير، وليس ببدين أو نحيف، خلته في تلك الرُّؤية ما يزال يواصل كما عهدته حروبه الخياليَّة، على الرَّغم من أنف ما جرى من تبدُّلات جوهريَّة في كلِّ ميادين الحياة، حروب كانت تتوالد لبراءة أمزجتنا ومصداقيَّة أفكارنا، كانت تتعلَّق إلى حدٍّ ما بنقاهة عقولنا وعفويَّة قلوبنا مرحلة المراهقة، على الرَّغم من الفرحة المباغتة التي غمرتني والرَّغبة المُلِحَّة التي أجَّجت فضولي كي أنطلق وأباغته من حيث لا يشعر، توالد فجأةً هاجسٌ صلبني فبقيت مثل مشلول يستصرخُ ولا مجير، حيثما كنت، من وراء نافــذة غرفتي –

بين مصدِّقٍ وغير مصدِّق – رحتُ أراقبه في صباح بدأ يبتلع بقايا شوارد ظلام منحلّ، سادني يقينٌ أنَّنا من جديد سنلتقي كثيرًا كما كنَّا طالما بزغ مثل شمس تخلصُ من براثن كسوف، صديق صدوق، واثق من كلِّ ما يقول ولو كان فيه شيءٌ من غرابة فكر أو لا معقول، مثَّلَ في تلك الأزمنة الطفوليَّة والشبابيَّة دورًا فاعلاً في حياتي، حافلاً بالتناقضات الودودة وكلِّ إشكاليَّات اللَّعب الحرِّ في صياغة ما نرغب من أسمال أفكار تُنافي واقعَنا المُرّ، ولا تهادن ما هو صادر من أعداء الجمال الرُّوحي للأشياء، انتشلني من بحر اللَّهو وأسقطني برغبة مني واندفاع في بحر الكلمات قبل أن يتركني أسيرَ عزلة ويرحل!!..

قال لي ذات يوم: اللَّهو يسلبُك مستقبلَك.
– أنا أشطر الصفّ (قلتُ له).
– الشَّهادة سجن متوارث، حطِّم هذا السجن يا زميلي!!..
– وأيّ سجن تقترح يا ملعون؟
– الشِّعر، وَحدَه مَن يُثبت أنَّ الدُّنيا محض هراء ووهم.
إندفعتُ أتبعه، يزوِّدني بمتاع لا ينضب، كتب ومجلاَّت وصحف تتحدَّث عن الثقافة، وتطرح من غير خوف جرأة أفكارًا وحرِّيَّة آراء مخيفة، وراح يسمعني أنا المشدوه إزاءه غريبَ كلامٍ حتى اكتشفوا أنِّي في اللَّيل أهذي وفي النَّهار أشرد بعيدًا عن كلِّ ما يدور من حولي، وسيمًا كان حدَّ اللَّعنة، متأنِّقًا بأبسط هندام، جذب أنظار كلِّ حلوة تلاعبت أحشاؤها على وتر الرَّغبة وحلمت به ولدًا (تايتانيكيًّا)* رغب دائماً أن أتبعه في تجوالات ملؤها السُّخرية وتفسير كلِّ ما يصادفنا أو نصادفه بشيء من فلتان اللِّسان والرَّغبة في تدمير قوانين الحياة المتوارثة، وغالبًا ما كنَّا نترك كلَّ شيء ليجرفنا تيَّار الثقافة النبيلة ونستحمَّ في بحيرة الشِّعر، نمضي حيثما تكون هناك ممرَّات وطرق لا تلوكها إطارات المركبات، أزقَّة تتعرَّج في التواءات ثعبانيَّة تعجُّ دائمًا بفوضى الحياة!!..

مرَّةً قال لحظةَ تأوَّهت فتاةٌ مرَّت بالقرب منَّا:
– مَن يجري خلف فتاة ليس بوسعه تحرير العالم من سجونه!!..
كلُّ جملة كنت أعرف أين مرماها وما هو مغزاها، ليس بوسعي أن أنسى يوم وقف في الصفّ لحظة طلب منه مدرِّسُ العربيَّة أن يروي شيئًا عن حلمه المستقبلي، صبَّ جامَ غضبه على (الفراهيدي) قبل أن يرفع كفَّه اليمين كما لو كان في لحظة أداء القسم ويصرخ:
– سأنسفُه من رفِّ الزَّمن!!..
لا يتكلَّمُ إلاَّ فلسفة، وزادني رغبة أن أكون شطره الآخر لقيادة حلمه المؤرق وتحرير ما كان يراه رماد عصور تصخَّرت، رغب أن يكتشف طرق غير مجرَّبة لتحرير هموم القلب وسموم الرَّأس كي ينقذَ البشر – هكذا كان يحلم – من سيادة البربريَّة!!..

مرَّةً قال:
– سيأتي اليوم، لا بدَّ أنَّه آتٍ يا زميلي، سترى، يا عزيزي، كيف تنطلق مواكب النَّاس لارتداء أسمال جديدة أفصِّلها كما يرضي مزاجي، أسمال قد تربك وتصعق الذائقة، لكنَّها ستغدو موجةً عارمة، قبل أن تتكشَّف الحياة عن وجه أكثر معقوليَّة للتعايش!!..
أذكى في أحشائي نيران لا تخمد ورسم لي دروب حلمه الجميل، ومضيت من دون أن أشعره أسهر وأبحر في متون ممنوعات الكتب بحثًا عن تغريدٍ لم يسبقني إليه شاعر، ترى أين كان ومن أين هَلَّ بعدما صار نقطة ضوء في ذاكرة منهَكَة؟!..

كنتُ لحظتَها أطاردُ ذؤابات قصيدة ظلَّت تتماوج في محراب ليلي، وبكَّرتُ النُّهوض من أجل اقتناصها، وفي غمـــرة شرودي شعَّت تلك النّقطـــة وكشفـــت

المسافة الممتدَّة من نافذة غرفتي وحتَّى الشارع الممتدِّ على طول الوادي، لا يمكن أن أنسى مشيته، قلبي دليلي، عزف بغتة، ما أن ظهر ذلك الإيقاع الرَّاسخ المتناغم مع ضربات قدمَيه، صاحت أغواري: هو... هو!!... من وراء دخان بقايا رماد نيران عيد (نوروز)** تمكَّنت أن أميِّزه وأقتنصه وعاد إلى ذهني ما قاله ذات مساء ونحن نسير على رصيف الشارع الترابي وكان هناك رهطُ صبيان يراكمون الإطارات المستهلَكَة داخل بطن الوادي الذي يلاصق الشارع حتَّى نهايته قبل أن يُذكوا نارَ الفرح فيها:

– النِّيرانُ قصائدُ متمرِّدة!!..

أتذكَّر أنِّي وقفت وحدَّقت في عينَيه، وقف هو أيضًا ورفع كفَّه كما كان يفعل كلَّما أراد أن يرسم شيئًا أو يحرِّر فكرة من مستودع أحلامه الملائكيَّة. قال:

– النَّار قصيدة متحرِّرة بلا صوت، الصَّوت قصيدة متحرِّرة بلا نار، النَّارُ تحرق الجسد والصَّوت يحرق الأعصاب، ومثلما الصَّوت هو هروب من الجسد أي من سجنه، النَّار أيضًا هروب من الجسد، من السِّجن، أليس الشِّعر هروبَ الكلمات من الجسد، من السِّجن؟!..

مسكَ كفِّي اليسرى وقادني من جديد، لم أجد لحظتَها ما أحاججُ به فلتتَه وخلتُه يمزح كما كان يفعل في كلِّ حواراته سواء معي أو مع كلِّ مَن يسأله، وقال لحظة انطلقنا:

– كلُّ شيء ينطق بلهجته فلماذا ننطق نحن بلسان (الفراهيدي)؟!..

لقد سئِم الشِّعر القديم وهيَّأ أجوبة كانت تضحكنا كلَّما كان مدرِّسُ العربيَّة يحاول أن يبحر في أتون قصيدة كلاسيكيَّة، ويومَ سأله مدير المدرسة عن سبب هذا التمرُّد على التراث، قال:

– أستاذ، أكرهُ البلابلَ الدَّاجنة!!..

– ستلفُّ وتدورُ وتسقطُ في القفص، يا شاطر (أجابَه المدير).

– لن أغادر غابة الزَّمن، إنَّها بلا حدود، سيشهدُ التَّاريخُ على ما أقول!!..
وجدته على حق يومَ سرد لي أنَّ سبب بلاء النَّاس شعراء العمود، هذا الشِّعر كان ابن لحظة عمَّاء – هكذا قال – كون المرحلة كانت غابيَّة، وكان لا بدَّ من وسيلة لتأجيج النُّفوس وإلهاب الحماس وجعل المرء ثورًا جامحًا يقتحمُ المنايا بعد أن يفقد شعوره، حتَّى الغزل – على حدِّ تعبيره – كان حربًا ضدَّ الكينونة من أجل إخماد شهوة، وبالتَّالي، هو حرب ضروس ما بين كائن ضعيف وآخر عنيف، كان شعر العمود وسيلة لتحقيق الغايات، لذلك كان أجندة للكذب والتزلُّف والتودُّد والرِّئاء، شعراء اليوم ما أشبههم بشعراء البارحة، لهم ما كان لدى السَّابقين من قلوب هشَّة، وصدق مَن وسمهم سدنة الغاوين، ها هم وجدوا السِّجن القديم ذا السِّتة عشر خانة ملاذًا أو ساحة مأمونة ومؤهَّلة لكسب القوت وتحقيق الغايات غير النبيلة.
وأضاف:
– يا صاحبي لا تستغرب إن قلتُ لك إنَّ (الفراهيدي) قرَّر الانتقام من الآتين حين شعر بفشله الذَّريع أن يغدو شاعرًا، ولمكره تمكَّن أن يبتكر سجنًا لوقف زمن الشِّعر!!..

قال عنه مدرِّسُ العربيَّة شخصيَّة (بالوماريَّة)***، مليء بأفكار جريئة ومسلِّية، وكان درسه دائمًا من أروع الدُّروس، كان يحرِّرُنا من سجن المواد البالية، ويبيح لنا أن نختار ما نراه خارج بلادة المنهج كي نطلقَ عقيرتَنا كلٌّ على هواه، ونعبِّرَ عمَّا يجيشُ في صدورنا من غريب أفكار!!..

ذات درس كان أحدُ الطَّلَبَة نائمًا، وفي لحظة هدوء عمَّ صوتُ (شخير)، ضحكنا قبل أن يقوم صاحبي ويقول:
– أتدرون أنَّ الشَّخير قصيدة عموديَّة!!..
ندت صرخة موحدة وضحكة مجلجلة دفعت (المدير) أن يركض نحـــونا، فتـــح

الباب ووقف:
– أضحِكنا معك يا شاعر (قالها بشيء من العصبيَّة).
لم يبدل من نظرته بل قال بكلِّ ثقته المطلقة بآرائه:
– كنت بصدد أن أثبت لهم أنْ لا فرق بين الشَّخير والقصيدة العموديَّة، أستاذ.
– وما هي أوجه الشَّبَه، يا شاطر.
– الشَّخير عزفٌ ثابتُ الإيقاع كما قصيدة العمود، ليس كلُّ إنسان بوسعه أن يقول الشِّعر، كذلك ليس كلّ إنسان يشخر، الشِّعر والشَّخير لا يقتصران على جنس محدَّد، ألا ترون معي أنَّهما يثيران الأعصاب، وكلاهما يتحرَّران في لحظة غياب الوعي، في لحظة شرود؟!..
ضحك المدير، وضحكنا!!..

ها هو يهلُّ مثل قمر غاب طويلاً في جوف خسوف، لقد هرب من جحيم البلاد ولم يعد يحتمل جدوى حياتنا، وأراد أن يؤسّس في مناخ خادم، مهما كانت التكلفة، نظريَّته التحديثيَّة وإنقاذ جنس الشِّعر، أنبل المواهب الإنسانيَّة على حدِّ زعمه من الرَّتابة والكسل، كما قال لي يومَ ودَّعته، قرَّر أن لا يرتدي لباس الحرب التي خيَّمت علينا واختار المنفى ملاذًا ملائمًا وحاضنة لا بدَّ منها لديمومة أفكاره. يوم رحيله كفكف دموعي بمنديله، قال لي:
– لا تنتظر منِّي رسائل، أخشى أن يعتقلوك!!..

تأكَّدت منه وهيَّأت نفسي للقاء غير معهود في اليوم اللاَّحق، بكَّرت أيضًا النُّهوض واسترجعت الكثير ممَّا كان تاريخًا حافلاً بالمَسَرَّات قبل أن تلتهمنا الحروب والمجاعة، لم يتأخَّر، ظهر كما الشمس في ميقاته، في الأفق المتناهي، حيث البيوتات المطلَّة على الشارع وهي تدرأ الكسل أمام نسمات آذار اللاَّسعة، والمحـــال التي راحت ترفـــع الحجابات عن كنوز أحشائها، العابرون كلٌّ لِسَعيه،

وكما حدث صباح أمس، ارتجف قلبي لحظةَ بان، لم أحتمل نفسي هذه المرَّة، ولم يباغتني هاجس الشَّلل كما فعل يوم أمس، اندفعت مثل مخبول خارجًا، كان قد وصل بداية سوق المدينة، عجَّلت من خطواتي كأنِّي أطاردُ متلبّسًا بجرم، شقيت زحام العمَّال المتراصِّين على جانبَي الشارع، اجتزت بشقِّ النَّفس قاطرةَ باعة الأرصفة والعربات المتراصَّة على خطِّ الرَّصيف، لكنَّه ذاب كقطرة ماء في رمال ساخنة، فتَّشتُ كثيرًا ولاحقت كلّ من تلامح بهيئته، عدت متعَبًا، وراح ظنٌّ يجرفني وشكٌّ يلتهمني، قد أكون مخطئًا في تقديري، قرار صرفت وقتًا لإقراره، وصلت المنزل، وجلست قرب النافذة، ووجدته من جديد يطلُّ على مسرح خيالي!!..

قال لي ذات يوم:

– أتدري يا عزيزي (السيَّاب) سيَّاف آخر!!..

– أرجو أن لا تقول: تمَّ تحريف الفاء إلى باء.

ربت على كتفي ومسك كفِّي اليسرى وقادني صوب الأزقَّة الأثيرة، قال:

– سجن (السيَّاب) أرحم قليلاً من سجن (الفراهيدي)!!..

– ألا يعني هذا أن سجن (الفراهيدي) آيلٌ للزَّوال.

وقف ورأيت التماعات الدَّهشة في حدقتَيه، سحب نفسًا وحرَّر شهيقًا صائتًا، عانقني وأمطر وجنتي بوابل قبلات، رفع يده كما كان يفعل، وهتف:

– بلغتُ مرامي.

– لم أفهم ماذا تقصد بمرامك.

– أنا الجلاَّد القادم، يا صاح!!..

قال ذلك وشاركته سعادته لحظة ضحك، توقَّف وألقى نظرة عميقة كانت قبل أن يفه:

– سأزيل مبدأ الوراثة!!..

– أيّ وراثة، يا شاعر؟
– سجون (البصرة) ما عادت تنفع في يومنا هذا!!..
– أيّ سجون، يا ملعون؟
– ألا ترى أنَّ (الفراهيدي) سلَّمها (لسيَّابَ)؟!..
– آهِ، فهمت، إنَّهما من (البصرة) طبعًا.

شرح أشياء كثيرة ومثيرة، وصف عمليَّة انفجار الحياة وتقدُّمها بعمليَّات هروب متلاحقة من سجن لسجن، من ركوب الحمير إلى المركبات، ثمَّ الطَّائرات، واعتبر زراعة المحاصيل الصيفيَّة في الشتاء والشتائيَّة في الصيف عمليَّاتِ تحطيم وتبديل سجون، وقال أيضًا:
– أليس من حقِّي نقل السِّجن من (البصرة) إلى هذه المدينة البائسة؟!..

تمرَّغت البلاد بوحل الهزائم وموت لغة الفرح، هاجر مَن هاجر لتحطيم سجن واقعه وبقي مَن بقي بلا طموح، عاجزًا متسربلاً باليأس ليغرِّد في سجون بالية.

أقنعت نفسي من بعد هواجس ورؤى وظنون أنَّه هو، لا أحد في مدينتنا يشبهه في السَّير، وحدَه كان يمتلك صفة نادرة، أينما يرغب أو يجبره مزاجه يتوقَّف، يحدِّق بتأمُّل، يصوغ فكرة جديدة أو يحاول أيجاد تفسيرٍ ملائمٍ لحالة عرضيَّة تواجهه، لا يمكن أن أخطئ في التَّقدير، هو، هو، مضيت أسيرَ ماضٍ ثقيلٍ اندفع ليحاصرني، أجلس، أراه يلاصقني، وحين أستلقي في فراشي يستلقي جنبي، هكذا كنَّا سابقاً، قرَّرت أن أباغته هذه المرَّة، لن أدعه يفلت كما فلت منِّي، ومع الفجر برز متألِّقًا من الأفق الدَّاخن، ضوء يمشي بتؤدة، انطلقت بهوس صوبه، قرَّرت أن أقف بدربه، سأصرخ وَفق مزاجي، هكذا عزمت أمري، يقينًا سيفتح ذراعَيه وأفتح ذراعَي، قرَّرت أن أعاتبه بلهجة شعريَّة حماسيَّة، كونه جاء من غربته ولم يسأل عنِّي، سنتعانقُ لا محـــال ونوقـــف سير المركبـــات في الشَّارع، ستطلـــق

منبِّهاتها، وربَّما – وهذا ما أتوقَّعه – سيقول: أنظر يا صاح، هذه المركبات ما تزال تحرِّر الشِّعر العموديَّ على الرَّغم من نجاة حياتنا من خانقيها، ربَّما سنرقص رقصة جديدة هو مبتكرها، ولم لا، على الرَّغم من أنَّه كان يريد من الشِّعر أن يكون غير مقيَّدٍ بمقاليد الرَّقصات المتوارثة، أراد شعرًا أسمعني الكثير منه، خلته كلام مجنون، أمشي وفرح كبير يغمرني وأنا أتقدَّم باتِّجاهه، سأقول له: ذهب الجلاَّد، أرجو أن لا نهيِّئ أرضيَّةً لآخر، لفتت نظري حقيبة نسيجيَّة يتأبَّطها، ذكَّرتني بحقيبته يوم الدراسة، كان يمتلك حقيبة غريبة، اقتناها من سائح فقد ماله أو سُرق منه، لم يوضح أكثر من ذلك يومَ سألناه، صار أمامي بمسافة لا تزيد على مائة متر، فجأةً غيَّرَ مساره وعبر إلى الجهة الأخرى، لم أنفعل، خلته فلتة من فلتاته المجاملاتيَّة، وهيَّأت نفسي لواقعة مشهودة، لكنَّه مضى بهدوء كأنَّه لا يعرفني، كانت أسماله مرقَّعة بنثار أصباغ ملوَّنة، إجتازني واستدرت متوقِّعًا كلَّ شيء منه، راح يشقُّ الصَّباح بمشيته الهوبناء، رافعًا أنفه وواضعًا سيجارة في فمه، شيء لم أعهده فيه من قبل، ساورني الظنُّ أنَّه ربَّما تلوَّث كما تلوَّث رهطٌ من أبناء البلد يومَ حطَّموا سجونهم الأخلاقيَّة، ونهبوا كلَّ ما هو ممتلكات عامَّة بعد غزو البلاد، سار صوب الشَّرق، هناك كانت معتقلات تعجُّ بالنَّاس، تحطَّمت وصارت منازل غير قانونيَّة، تبعته، لا أعرف لمَ شيء ما شدَّني إلى ذلك، وصلت إلى بدايات منازل متعرِّجة وتذكَّرت قوله يومَ كنَّا نتجوَّل بين منازل تجاوزت على القانون، جدران متباينة ومتعرِّجة، جدار صاعد وآخر نازل:

– أتدري، البيوت قصائد!!..

– فراهيديَّة أم سيَّابيَّة؟!..

– كل بنَّاء ماهر هو شاعر مُجيد، أنظر إلى هذه النتشوُّهات، إنَّها تدلُّ على مواهب متعثِّرة ما تزال تقبع في سجونٍ قديمة!!..

تابعته من مسافة معقولة إلى حيث كان يمشي، إخترق ممرَّات متعرِّجة ومنـــازل

بائسة أقامها أرهاط بشر وجدوا أجواء مهيَّأة بعدما حطَّموا قلعة كانت في يومٍ ما السُّور الحصين للبلد، ثكنة عسكريَّة وسجن عملاق للجنود الفارِّين من جحيم الحروب، وجدته يقف أمام هيكل بيت غريب، لأوَّل مرَّة في مدينتنا ألاحظ بيتًا فوق بيت، خلاف ما هو مألوف من طرز منقرضة ظلَّت تأكل أعصابنا وتبدِّد أحلامنا، عالج أكرة باب عريض، وقفت بالقرب من صبيٍّ يعرض على لوح خشبي متدرِّج علب سجائر، ولأوَّل مرَّة أيضًا أجدني أمدُّ يدي وأستلُّ من علبة مفتوحة سيجارة، وأضعها بين شفتَي، رأيته يعتلي ألواح مثبتة فوق براميل فارغة كجسر بموازاة الواجهة الأماميَّة للبيت العجيب، جلست أراقبه وأنا بين رغبتَين متصارعتَين، أن أباغته أو أقبر هذا الفضول المتنامي فيّ، اعتلى الجسر وبدأ يحرِّك صندوقًا يتلامع من أثر سقوط أشعَّة راحت تنسلُّ من بين الغيوم المتناثرة، لاح الجدار وهو يكتسب رونقًا كأنَّه جداريَّة ناطقة فوق طلل وخرائب، لقد كان ينثر (الإسمنت) بصندوق لا أدري أهو من بنات خياله أو ثورة تكنولوجيَّة جلبها من العالم المترامي الذي ابتلعه لحينٍ من الدَّهر، شيئًا فشيئًا بدأت ألوان متجانسة تجذب النَّظر، ورأيت بالفعل رؤوسًا تطلُّ من وراء الأبواب والنَّوافذ، ومن فوق الجدران المتناصية لرجال ونساء، أهالي مدينتنا أبًا عن جَدٍّ كانوا يعالجون جدران البيوتات الطينيَّة بشفرة مسطَّحة نُطلق عليها (مالنج)****، وأمَّا ما كان يحمله فصندوقٌ عجيبٌ غريب، يبصق رذاذ الإسمنت الملوَّن على نحوٍ ساحر، فتذكَّرت يومَ قال لي: صندوق الوِجدان ما عادَ ينفعُ في يومنا هذا لقول الشِّعر، لا بدَّ من صندوق بديل يحتوي آلامنا ويلبِّي طموحاتنا، نحن في زمنٍ ممنوعٌ فيه أن تقولَ الحقيقة!!..

وتذكَّرتُ أيضًا: أنا الجلاَّد القادم../.. نقل الوراثة الشِّعريَّة!!..
لا بدَّ أنَّه جاء بثورته العملاقة وحقَّق غايته النَّبيلة لتحطيم السُّجون المتوارثة، أنَّه سيُشعلُها حربًا قبل أن تندفعَ الجموعُ لركوب هذه (الموجة الجديدة). أتذكَّرُ أيضًا

أنَّه قال لي ذات يوم: أريد أن أحوِّل مجرى الشِّعر من بحر القيود إلى رذاذ متناثر!!.. ها هو ينثر – لا فرق – الكلمات أم الأسمنت أو (الجصّ). على هذا الصَّمت، لم أجد ما يدفعُني إليه، كان يجب أن أعود، وتركتُ الفرصة لليوم اللاَّحق، وللحقيقة أقول: بعد أيَّام ذهبت إلى البيت العملاق، رأيته كفتاة ناهِد تُبرز فتنتَها إلى الفضاء، بيت كأنَّه يحكي قصَّة جديدة، ولكن، لم أجد زميلي، لقد اختفى ثانية، ومضتِ الأيَّام والأشهر، الشَّيء الذي ظلَّ يسطع وينمو هو ما جاء به من موجة عارمة هزَّتِ المدينة وجعلتِ النَّاس يندفعون لتطبيق هذا العمل البشري السَّاحر، كلُّ واحدٍ كان يحمل صندوقًا معدنيًّا وينثر خياله على جدران منزله، يقينًا إنَّ صاحبي حقَّق رغبته وحطَّم سجنًا وراثيًّا وفرض بكلِّ هدوء وجبروت سجنًا آخرَ لنَثر الخيال على بياض – لا فرق – الورق أو الحائط، ومن يوم اختفائه، قلت وداعًا للأنظمة القديمة ومرحبًا بعالم بلا قيود، وداعًا لقصيدة العمود والشِّعر الحرِّ وأهلاً بقصيدة النَّثر، لا فرق... المهمُّ براعة توزيع الكلمات لصنع خطاب جمالي يُبهر العين طالما الجوهر بات في هذا الزَّمان في خبر كان، وفي اليوم اللاَّحق قرَّرت أن أبدأ بجدران بيتي بعدما هيَّأت صندوقي، رأيت جدران بيتي المتهالكة مسرحًا للتَّجريب قبل أن أنثر خيالي فوق أديم الورق السَّاحر، وفي غضون يومين أو ثلاثة، كانت جدران البيت لافتةً النَّظرَ وتُماشي الذَّوق العامّ!!..

* تايتنيكيًّا: نسبةً إلى وسامة فِرناندو دي كابريو، بطل فيلم (تايتانيك).
** نوروز: العيد الوطني للأمَّة الكرديَّة، يُصادف ٢١ من شهر آذار.
*** بالوماريَّة: نسبةً إلى السَّيِّد بالومار لأيتالو كالفينو.
**** مالنج: شفرة صفيحيَّة مسطَّحة تُستخدم في البناء لصقل الجدران والأرضيَّة.

قصَّةٌ نُشرت بعنوان "صندوق الشِّعر" في جريدة "التَّآخي" – أبعاد ثقافيَّة، العدد ١٦٨ بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٨.

يومَ اغتالوا الجسر

أنتِ ستَمشين تحت الشَّمس، وأمَّا أنا فسأوارى تحت التُّراب.
رامبو (لِشقيقته لحظةَ احتضاره)

وكنَّا في منتصف المسافة ما بين حلمها وحلمي، معًا نراقبُ تلاطمَ عواطفنا والتَّناغم المُدهش لهواجسنا، تغمرنا انثيالات الأصيل السَّاحر. كلانا كان، بحَسَب مزاجه وسِعَة أغواره، مَفتونًا بهذا الاتِّحاد والتَّلاقح للمشاعر، في تلك السَّانحة، كنَّا قد أبرَمنا قرارَنا الصَّريح، قرارًا نبعَ من خلجان الذَّات ودوَّرَ أفلاك أحلامنا ونسفَ تركة سنوات ظلَّت تأكلنا على نيران التَّرقُّب والخوف، يدًا بيد مَضينا وحولنا يتداخلُ صريرُ إطارات مركبات تمرق وصخبُ نوارس تمرح، وعدنا بعد حلم لمحناه قبل أن يباغتنا في المنام!!..

– لمى، هذا أقصر الطُّرق لما يريحك.
– أوَّاه، أكره قصار الدُّروب.
– لمى، أخشى عليك من التَّعب، قدماك بلَّوريَّتان، حرامٌ أن تمشيا على شوارع وأرصفة ستدكُّها ذات يوم أحذية الغزاة ومركبات الأغراب.

– دعنا، دعنا نوزِّعْ حبَّنا على كلِّ شبر من شوارع (بغداد). دعنا نكحِّلْ هذا الزَّمن الرَّديء بشيءٍ من غرامنا.
– عراقيَّة وربِّ الكعبة، عيناك (رافدانيَّتَين). يا لك من نخلة شاهقة بوجه الأعاصير.
نواصلُ التَّحليق، تفردُ عواطفها على بساط الزَّمن، وأنا الحائرَ لا أعرف كيف أتناغم مع هذا المرح الملائكيِّ المتنامي على بساط نسمات (دجلة). تهرب، وأحاول اللّحاق بها، تخترق الفضاء والرِّيح والزَّمن، أحاول الوصول إليها، تهرب وتهرب، وحين ترصدُ لهاثي، تقفُ وتجذبُني لحوارٍ وانغمار!!..

لمى، حيَّرتني بحرِّيَّتها، بسِعَة أحلامها، دائمًا تباغتني بمرح يشلُّني ويغرقني في بحر خجل وتعرُّق، هكذا هي (لمى) الخارجة من بيضة الجهل لتهاجمَ الدُّنيا بمَسَرَّات مثيرة وشجاعة (أمازونيَّة). كلَّما أحتويها أو تحتويني، تنفلت وتجترح مسافة معقولة، ترقص وسط مئات المنبِّهات للمركبات المارقة، تستديرُ وتهزُّ خصرها، ومثل صقر في لحظة قنص تفردُ ذراعَيها، أقف، لا أعرف هل من خجلي أم رغبة في رؤية هذا المشهد السَّاحر في زمن متوقِّف، أراها تتوقَّف وتمدُّ كفَّيها إلى السَّماء، تلوح لوحة استثنائيَّة تبحث عن عدسة كاميرا لتخليدها، أخطو إليها، أقفُ أمامها، عينان من زجاج، شاشة تدلق قصائد ملحميَّة، آهٍ، (كنت أقول)، لو عرف الملحِّنون بها لتقاتلوا من أجل تلحينها، أهزُّها، ذائبة هي في أمواج نورانيَّة، من حقِّها أن تذوب، كانت معذَّبة بالحبِّ والحرِّيَّة، كانت قطعة حلوى، غزالة لا مأوى لها إلاَّ قلبي، تباغتني وتغرقني معها في موج كركرات وسط عالم حائر، هكذا كنَّا كلَّما نلتقي لكتابة شيء من أسفارنا فوق (جسر الجمهوريَّة)، ودائمًا كانت تختم اللِّقاء ببسمة وضحكة قبل أن تجذبَني لشوط قبلات!!..

مباركٌ هــذا اللِّقاء. هل إنَّنا، حقًّا، نمرحُ في هذا الزَّمن؟؟.. كنت أطرح السُّؤال،

تضحك (لمى) وتهرب من بين يدي، ألهث وراءها، تختفي، أفتش بين الأحراش، أحيانًا تند منِّي صرخة، حين أتربَّص لوقت هي تقرِّره، (لمى) لا تحتمل الوَحدة، هكذا كانت تقولُ لي، تمطر رأسي بما تقتطف من ثمر، أراها جالسة فوق جذع بين أغصان شجرة، آهِ، يا لمى، كنت أحرِّر زفيري، ترمي بنفسها وأتلقَّفها، من أين لك كلّ هذه البراءة؟!.. (لمى)، حضارة عشق ومرح، المدينة الفاضلة لأحلام الفقراء، (لمى)، منتجع بوسع العالم أن ينسى أحزانه في حضرتها، آهِ، يا (لمى) – كنت أقول لها – لو عرف العالم بك، لاستفقنا ذات فجر على عواءات صفَّارات الإنذار وهدير الصَّواريخ القارِّيَّة، وقامت من أجلك حربٌ كونيَّةٌ ثالثة، كانت تضحك وأحاول أن أقنعها، لا تستغربي يا (لمى)، حروب طروادة قامت على هيكل امرأة، ومضة واحدة من (عراقيَّتك) تنسفها من ذاكرة التَّاريخ، لكن، يا (لمى)، من أين نجيء بشاعر يجيد التَّعامل مع أساطيرنا، شعراؤنا نسوا ماضيهم وساروا يتبعون أحلامهم، آهِ، يا (لمى)، لا تحلِّقي عاليًا، سهامُ العيون لا ترحم، سهامُ العيون تمزِّق صواري السُّفن، تمسَّكي بعروة عشقي، فأنا محارب، وحبُّك سلاحي، يا (لمى)، لا تُكثري الطَّامعين، وفي غمرة تراتيلي، كانت تنفلت وتفرِّج العالم على حبِّنا!!..

كدت أهوي، هاويةٌ مشَت نحوي، أقولُها بصراحة، ألستَ مَن طلبَ منِّي مصارحتَه بكلِّ شيء؟ حسنًا، لن أخفيَ عنك شيئًا، لقد غازلني عابر سبيل، أرجوك لا تنزعج واتركني أكمل كلامي، أعرف أنَّك تغار ولا تحتمل حتَّى نظرات النَّاس لي، ما العمل، غازلَني – هكذا أراد قدري – وأبهرني بغزله، ومثل معتوهة مشيت وراءه، عطشٌ يقودني ورغبةٌ تدفعني، مجنونةً كنتُ به، قلت: سألاحقه إلى آخر المدى لأعرف ما يريد منِّي، أنت تعرف ما يرمي الرَّجل من فتاة، إبتدأ بسلام ثمَّ كان كلام، حلوًا كان صوتُه، أسكرني وجذبني، أماتني بفواكه لسانه وأسقطني في بئـــر النَّشوة، شربت من عينَيه وسكرت على يدَيـــه،

ونمت في سرير غرامه، ما العمل، كان وسيمًا حدَّ الجنون، أقولها لك صراحةً يا أنبل عاشق: وافقت مشاعري مشاعره، ومن أجله حرَّرتُ أنوثتي!!.. ملهمتُك (لمى)!!..

موتٌ مفاجئٌ احتواني، كادت جمجمتي أن تتناثر للرِّيح والمدى، لم أتمالك نفسي، ضغطت على الزّناد، لكنَّ الرَّصاصة أبَت أن تغادر حجرتها، ظلَّ رأسي مثل كرة تركلُها أقدامٌ من دون استراحة، في تلك اللَّحظة دعكت الرِّسالة ولم أعرف لمَ لم أمزّقها، تناوشت سلاحي وسدَّدت إلى رأسي، آهِ، يا (لمى)، هكذا تعاهدنا يومَ كنَّا فوق جسر (الجمهوريَّة) حين مرقت أسراب طائرات وألقت حمولتها على البنايات الشَّاهقة، كان العالم يهتزُّ ونحن نواصل الرَّقص والحبّ، آهِ، يا (لمى)، لولا تدخُّلُ أحد زملائي لمُت، تدخَّلَ في لحظة حاسمة وأوقف موتي، صاح: ويحَك، إنَّها مزحة نيسان!!.. تحجَّرتِ الطَّلقة، تحجَّرت عيناي، تحجَّرتِ المشاعر، تحجَّر الكون، وتحجَّرت (لَماي) فوق جثَّة مستقبلي، آهِ، يا لمى، ما زلتِ تشغلين العالم بمرحك، الحرب الكونيَّة قادمة لا محالة، طالما أنتِ موجودة، ومضينا نحتفلُ لسلامتي تحت وجيب الرَّصاص المنهمر، وكنت متيقِّنًا أنَّهم خائبون، وقلت:فليُلقوا ما عندهم، لن نوقف هذا الحفل، نشرب الشَّاي ونعيد قراءة اللّغز في ظهر رسالتك: لا تصدِّق هذا الكلام، وتذكَّر أنَّ اليومَ هو الأوَّل من نيسان (لَماك).

تنوحُ الشَّوارع، تزمجرُ المركبات، وعيونُ العالم تحتبسُ الدُّموع، وَحدي أنثر الهموم وأوزِّع مواجيدي إلى الفضاء والصَّمت والخراب، سماءٌ داخنة، مركباتٌ تشهق، أشجارٌ يائسة ونوارسُ لا رغبة لها في القنص، صارخةً تحلِّق، وفي الماء أسماكٌ تطفو، يا لها من حرب عادلة، طيور.. برّ ..جو..مائيَّة، وسمك غريم يموت خارج الماء، أقف ويداهمني فيضك يا (لمى)، واقفةً أراك، تواصلين مرحك الملائكي، يشدُّني فيضك ويجذبنـــي، أراك واقفة فوق الماء، تبدإين لحنك

السَّماوي، تبحثين عن رسَّامٍ يخلِّدك(موناليزا) عراقيَّة، آهِ، يا (لمى)، ما زلت أجهلُ هذا السِّرَّ الذي يشدُّك إلى السَّماء، آهِ، يومَ همست في أذنك: هل هناك مُعجَبٌ سماويٌّ ينافسني يا (لمى)؟؟.. وكما كنت تفعلين، انفلتِ ورشقتِ الأصيلَ بكركراتك وارتعاشات جسدك!!..

ماتت لمى، ناحتِ الحياة، وزمجرت المركبات وصهلت الرِّياح، وفوق النَّهر حيث الجسر ظلَّت النَّوارسُ صخَّابة مستنفرة، وصرتُ شجرة يابسة، لا نهر يمرُّ بها ولا غيمة تمطرها، ماتتِ الأشياء بموتك يا (لمى)، وقفت وقذفت بصاقي وحرَّرت صرختي: لم اخترتها، لمَ لم تأخذني معها، (لمى)، مزرعة حياة، (لمى)، مملكة جمال وسعادة، (لمى، لمى، لم اااااااااااااا..)!!..

شاخت أيَّامي، واكتهل العالم، هرمت النَّوارس، وظلَّ الماء يحتفظ ببرودة أعصابه، وما تزال السَّماء تمهل ولا تهمل، أمشي فوق الجسر، أمشي أمام العدوّ، أعطي قيافتي هدفًا معاديًا، آهِ، يا (لمى)، الموت غول يعرف أي جسد لذيذ، والموت يكره الباحثين عنه، إختارك ومضى يبحث عن شاكلاتك!!..

أعيد أوراقها، أعيد حسابات ذهني، ألملم كلَّ دقائقها، وأبحر صوب عوالمنا، أكتشفُ دائمًا أشياء جديدة، (لمى)، ولودة يا عالم، كانت تزرع الفرح أمام البشر اليائس، تعالوا إلى جسر (الجمهوريَّة)، تعالوا لتشتمُّوا براءتها، تعالوا، تعالوا، على كلِّ شبر هناك بستان فرح، أقف، تغمرني أمواج نورانيَّة تنقلني إلى ساعات الفرح، في كلِّ رسالة من رسائلها، ضحكة وحلم في أوج النموّ، آهِ، يا (لمى)، دائمًا تحضرني (قفشاتك)، أقرأ رسالة أو أقف على الجسر، مركبات تزمِّر وربَّما تستهزئ أو أنَّ أصحابَها لا يعرفون ما حصل، أحاورك، وأحيانًا اكتشف أنِّي أرقص، سيقولون: مجنونٌ آخرُ يُضاف إلى قائمة بلدنا، آهِ، لو يدركون أين أنا، ومع مَن أقــف، أنغمر في نورك المُشرق من وراء السُّحُب، آهِ، يا (لمى)، ماتتِ

الدُّنيا بموتك، آهٍ، لو كنت أعلم أنَّها كانت استهلالاتٌ لرحيلٍ دامٍ، لكنت أعددت حقائبي وشاركتك الرّحلة، رسائلها سلوى وعذاب، تأخذني إلى المديات القصيَّة، وأكتشف أنِّي دائمًا في قلب العدم، وكدت أن أصل إليك ذات ليلة مقمرة، لحظة غزاني فيضك، مشيت ووصلت، لكنَّ أحد الزُّملاء ناداني وسرقني منك، الزَّميل عَينه الذي حجر الموت من أجلك، كان يراقبني ورصد قلقي، في منتصف حقل الألغام، باغتني، أضاف لغزًا آخر لحياتي، لمَ لم أضغط لغمًا وأنا اجتزت المئات منها، اختارت زميلي لحظة ناداني، هكذا هو الموت يريد أصحاب الآمال العريضة والأحلام البريئة، لقد رصده الموت واستردَّ اعتباره وحرمت مرَّة أخرى من الوصول إلى (لمى)!!..

ماتت لمى قبل أن أموت، كانت تخشى عليَّ ولم أكن أخشى عليها، كانت في (بغداد) المسوَّرة بحصن الطيبة والعلم، وأنا المربوط وسط قنابل تمطر وقنابل تنبثق من الأرض، كلّ ما حولي موت وكلّ ما حولها برد وسلام، (لمى) ماتت وأنا أبحث عن قبر يحتويني، لا مكان لي، هكذا وجدت الأمر، كانت هي الطَّريدة المأمولة، وتلك من مفارقات الحروب وعناوين بشاعتها، كانت (لمى) خلف خطِّ الموت بعدد لا متناه من الكيلومترات، وكانت تواصل غزلها المبرمج كما اتَّفقنا، هي تدوس رصيف الجسر وأنا أنحت عيني في الأفق، هي تغذِّي شجرة اللِّقاء وأنا أدوِّن تحرُّكات الشَّرِّ القادم، كنَّا نتخاطر عبر الأثير، كانت هي منتصف حلمها، فوق الجسر باغتها نور عنيف، وجدت نفسها تطير، أفواج من النَّاس ترافقها، ربَّما تخيَّلت عندها أنَّها في لحظة زفاف، كلُّ شيء يحلِّق من حولها بمرح، كلُّ شيء يتشظَّى إلى ملايين من الومضات، وكان الجسر يتناثر ويتلاشى، نوارس تتصادم، أسماك غادرت الماء وصارت تسبح من غير أجنحة، أشجار تطير، كلُّ شيء صار يسبح مع (لمى). بركان ثار فوق الجسر – هكذا وصفوا المشهد – هياكل حديديَّة تكشِّرُ أنيابها ومخالبها وتطلــق نهيقــها للزَّمــن

المتحجِّر، تتلوَّى ساخرة في سماء ما عادت ترسل الشّهب، زعيق اغتصب الصبَّاح وتردَّد صداه. مات الجسر يا عالم، ماتتِ الحياة يا عالم، ماتت (لمى)، ماتت (لمى، لمى، لمى، ىىىى)!!..

قصَّةٌ حازتِ المرتبةَ الأولى في مسابقة للقصَّة القصيرة أُقيمت في محافظة ديالى في تشرين الأوَّل من عام ٢٠٠٣، ونُشرت في جريدة "التآخي" – أبعاد ثقافيَّة، العدد ٥٦، بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٥.

ثغرُها على منديل

ليأتِ اللَّيلُ وتدقُّ السَّاعةُ وتمضِ النَّهارات، وأبقى أنا، تمرُّ النَّهاراتُ وتمرُّ الأسابيع، لا زمنَ يَمضي، ولا الحبُّ يعود. أبولينير

كلَّ مساء، ما إن يستلقي على سريره، تسكنُه فكرتان على الرَّغم من وقع الحزن، تغمرانه بنشوةٍ ذات مساء أطربَته، فكرتان تؤنسانه، تشكِّلان معًا أملاً قائمًا، لا يزال يحدوه هاجس تحقيقه، فكرتان تباغتانه كلَّما يجنُّ اللَّيل، ويكون هو قد تجرَّدَ من متعلِّقاته الروتينيَّة، تتماهيان فيه ويندمج هو في انتشاء تامٍّ ليغادر غرفته ويحطَّ في مكان حفلت ذات مساء بسعادة لا توصف، لم تتنازل النَّشوة عن لذَّاتها الأولى، كأنَّ فجوة ما حرست ينبوعها من آفة الزَّمن ورتبَّت أوقات بثٍّ ذلك الوميض السَّاحر، الأنيس القادم لانتشاله من رتابة الأيَّام وعزلته، في الصباح دائمًا وأبدًا، يكتشف أنَّه قد نال قسطًا وافرًا وهانئًا من النَّوم، يتناول بلا ملل المنديل الجاثم فوق صدره، برفقٍ يطويه، وعناية، يشتمُّه برغبة ويقبِّله بودّ، قبل أن يدسَّه في جيبه اليسار، كونه النَّديم الملامس القلبَ، جيب خزن أسراره وفيه تراقصت الومضات السحريَّة لزمن عنيد – كان هو فارسه – يرفض التَّهرُّؤ!!..

لم يرغب أن تداعبه فكرة في لحظة ما أن ينسلخ من الهاجسَين، على الرَّغم من ضغط المصير، وتقلُّبات الظُّروف، إكتشف أنَّ ذاكرته تتجدَّد صباح كلِّ يوم وتكون في ذروة التأجُّج ليلاً، ذاكرة تمدُّه بما يجرِّده من تفاهة حاضره، تحاصره شلاَّلات ضوئيَّة – كلَّما يرخي جسده – تلفُّــه وتأخــذه إلى قلب فرح قديم، إلى

محراب فتاة جرَّدته من دعاسيب الشَّيخوخة، وزرعت في ربوع قلبه نبتة الأمل، تهاوت أوراق عمره بلا اكتراث، وظلَّ أمينًا على أرخبيل ينبع منه أنبل مساء عاشه، حوَّلته عشيَّة ليلة وضحاها إلى كائن حالم، يمتلك قلبًا تتدفَّق فيه رغبات بلا حدود، وله عينان تقرأأن جوهر الأشياء!!..

فتاةٌ، ذات مساء بعيد، وقفت في جرأة أمامه، باغتته من حيث لم يحتسب، حاول لحظتها وفيما بعد أيضًا أن يستوعب ما حصل له، وقف مستفَزًّا – كسمكة في شبكة – يتأمَّلها، ومشاعره تنفلت، لم يعد لسانه ملك إرادته، وعيناه تحجَّرتا على بقعة ضوء هلَّ بعد خسوف ثقيل، في مكان غير آمن، مكانٍ يثير الشُّبهات، في مدينة منغلقة، ناسُها لا ترحم نساءَها، تنبذ فكرة الحبِّ وتعتبره جريمة لا تغتفر، وقفت برغبة وشجاعة أمامه، وجومها أشعره أنَّها تقصده هو بالذَّات، فشل أن يستوعب أسئلة عينَيها، أو تفسير نداءاتها الواضحة، ربَّما ترصَّدته – هذا ما فكَّر به لاحقًا – اختارتِ الزَّمان المناسب والمكان المحدَّد، اخترقت ممرًّا خانقًا، اجتازت اشتباكات الأفنان المتهدِّلة للأشجار وجحافل القصب المسيِّج الحدائقَ المهمَلة، مكانٍ يندر أن يمرَّ فيه أمرؤ، ليس لأنَّه عصيُّ الاجتياز فحَسَب، بل يفضي، أيضًا، على نحوٍ متعرِّج إلى نهر البلدة!!..

لم يضطرب قلبه كما اضطرب في تلك اللَّحظة، ولم يتعثَّر لسانه كما تعثَّر، ما زال كلَّما يستلقي حين يهبط المساء، تأخذه سفينة الأمل إلى مكان الواقعة، على الرَّغم من بعد المسافة الزمنيَّة الفاصلة، يشعر بحرارة اللَّحظة وحراجة الموقف، لم يشعر بامتحان كهذا، كائن ضئيل باغته ووضع بين يدَيه أسئلة الوجود دفعة واحدة، كان عليه أن يجيبَ دفعة واحدة عن تلك الأسئلة الخالـــدة، ما زال يتدفَّأ بالنَّشوة، يتذكَّر كيف ترجَّلتِ الكلمات من رأسه، كل ما هندَسَ من أبيات شعريَّة رآها خيولاً تهبط لتموت في أرض المجابهة، فتاة صادقة، من عينَيها عرف ذلك، مسكونة بحلم غريب جديـــد، يتراقص وسط نيران لذيـــذة، سرت لفحاتـــه إلـــى

مساماته، وصار في طرفة جفن خارج الزَّمن وداخل جنينة، ابتسمت على نحوٍ عجيب لحظة وقفت أمامه، لا تزال نصاعة أسنانها تعكس في خياله صورته، في ما بعد تذكَّر كيف ذاب في زرقة عينَيها، وكيف اكتشف أعماقًا تضجُّ بعصافير تخنقها أقفاص، ندم لأنَّه لم يحرِّرها من الأسر، لقد كان مشلولاً، منتفضَ القلب، يغمرُه زفيرها وأمواج عينَيها النَّاطقتَين.

في ذلك المساء الجديد، كان مترنِّمًا يتهادى، تسكنه نشوة قصيدة جديدة، لسانه ينسج، وخياله حصان ينطلق في براري بلا حدود، هاجسٌ يدفعه، أراد أن يصل أصدقاءَه، هكذا كان كلَّما يكتب قصيدة، يشنِّف أسماعهم ويناقش ملاحظاتهم، لقد شعر أصيلَ ذلك اليوم بشيء مجهول يناوره، وكان النَّهر خير أنيس له من فوضى الحياة، دائمًا هو هناك، دائمًا يكتشف كلمات تدحرجها الموجات المتصارعة، وكان يلتذُّ وهو يلتقطها جواهر برَّاقة لبناء فكرته، كان أصيلاً في غاية الألق، ما زال يصرُّ أنَّ ذهابه في ذلك المساء لم يكن بدافع من القصيدة فحسب، بل هاجس ما أكبر من إرادته، ساقه وجلس، لأنَّ ربَّة الإلهام حملت قواميس الدُّنيا وبسطتها فوق وجه النَّهر، ليس ذلك فقط، حتَّى النَّسيم بلغ ذروة الانتعاش، انتهى من تدوينها وألقم النَّهر فائض أوراقه قبل أن تباغته الفتاة عند منتصف المسافة، ما بين حذاء النَّهر ورصيف الشَّارع الرئيس، لا بدَّ أنَّها حسبت ميقات عودته، وعرف بعد حين أن الفتاة الصَّادقة لا تخطئ في حساباتها العاطفيَّة، جاءت كما رسمت في بالها المشهد وما رغبت، لكنَّه – إلى الآن – يجهلُ كيف تبخَّرت القصيدة من ذهنه ولسانه، وكيف لم يشعر بالخيول تنسحب من مطارداتها المسائيَّة، في ما بعد توصَّل إلى قناعة تامَّة أنَّ أمواج العيون أبلغ أثرًا من موسيقى الوجدان، لقد ظنَّها قادمة من كوكب آخر، ما زال الاعتقاد يغازله بذلك، في تلك الوقفة، تعطَّلت حواسُّه ونسي العالم كلَّه، جاءت لتوقف حياته على لحظة شباب دائم، وتوَّجته كائنًا متساميًا خارجَ واقعـــــه، وقــف، لا

يعرف ماذا يفعل، وناضل كثيرًا كي يوقف هروب ذاكرته، موجٌ أقوى منه جذبه وابتلعه، موجٌ أزرقُ قادمٌ من مصبَّين قَصيَّين، وفي غمرة الذَّوبان التفت أذرع أخطبوط حوله، ولم يعد بإمكانه أن يعرف كيف يتخلَّص من تلك الأذرع الملتفَّة حول رقبته!!..

كلَّما يأوي إلى منامه، تأتي عربة الأمل لتأخذه، ليس هناك ملل، في كلِّ ليلة يسافر إلى مساء ساحر ليتناول باقة من عشبة الخلود، وحين يصل إلى المشهد بلا إرادة ترتفع يده ليتأكَّد إن كانت تلك الأذرع لا تزال تطوِّق رقبته، حرارة يدَيها، لهفة عينَيها، إيقاعات قلبها، رجفات صدرها، قبل أن تختم جائحتها بقبلة – على الرَّغم من المسافة الزَّمنيَّة الفاصلة – لا تزال تحتفظ بصداها، ليس بوسعه أن يقتنع، فاليقين يحدوه أنَّ عيونًا تلصَّصت ورأت ما رأت، المكان مشبوه، يثير حفيظة كلِّ مُستطرِق أو عابر سبيل، ممرّ مهمَل رأسه شارع رئيس وذيله نهر لا يذهب إليه صيَّاد سمك، أو هو بالذَّات، كونه الفضاء المموّل والمعين المفتوح لقريحته الشِّعريَّة، مكان – هكذا قرَّر – لا يجب لفتاة تمتلك عينَين بلون السَّماء أن توجَدَ فيه، يحاججه الظَّنُّ أنَّها استقطبت ممَّن يرغب التَّلصُّص ومعرفة ما يجري في المنزويات الحافلة بالشُّبهات، وقف واجمًا أمامها، يريد أن يعرف ماذا حدث وكيف حدث الذي حدث، رنين ثغر صرح بما فيه، كان ذلك آخر نغمة موسيقيَّة ختمتِ المشهد، رآها ترتبك، رآها تستدير، رآها تمضي، رآها تتعثَّر بالقصب المتمايل، وكان هو منشغِلاً بما حدث وسكن على خدِّه، وما بدأت تقذفه مساماته من مياه ساخنة!!..

لم يحصل أن رأى فتاة امتلكت جرأة تؤهِّلها أن تقذف نيرانها بوجه مشعلها، ولم يقرأ في يوم ما أنَّ فتاة ما أسلمت أرادتها لرغبة عابرة، لكم سمع وقرأ وكتب، لا تعدو سوى إفرازاتِ خيالٍ أوانَ الجموح، إلاَّ في مساء صار مساءَه، فتاة جـــاءت كنمرة جائعة، بها ضنا شوق وحرائق، رصدتِ الطَّريدة ونالت عشبة نقاهتها، لم

يفكِّر في يومٍ ما بغير الشِّعر، لم يعرف قبل ذلك المساء أنَّ من الفتيات مَن يمتلكنَ وقاحة مؤدَّبة، ينطقن لا بلسانهنَّ بل بالعينَين، واحدة تربَّصت به ووقفت أمامه، شلَّته، قالت ما يسكنها بعينَيها المتكلِّمتَين، وختمت صراحة اعترافاتها لا بلسانها بل بثغرها!!..

كان شاعر المدينة وعريف احتفالاتها، كلَّما يصعد إلى المسرح ينال تصفيقًا منقطع النَّظير، كثيرات يجلسن في الصُّفوف الأماميَّة، كان يتساءل دائمًا إن كانت ممَّن يحضرنَ ويصفِّقنَ له، فهو متأكِّد أنَّه ما احتفظ بوجه فتاة قطّ، ولا اهتمَّ في لحظة ما بمسائل العاطفة إلاَّ في كتاباته، في تلك اللَّيلة لا يزال يتذكَّر كيف جفاهُ السُّهاد، وكيف وقف أمام نافذة غرفته، وراح يبحثُ عن ذلك الممرِّ الخانق على الرَّغم من عتمة اللَّيل، وجد نفسه أمام لوحة لم يكن هو مبدعها، بل هو إحدى العلامات الفارقة فيها!!..

شاب لم يدخل مدرسة المَسَرَّات، تهبط أمامه فتاة يندلقُ من عينَيها بحران، غابة أحراش، أشجار واجمة، رفوف قصب نائمة، خيول تنطلق، أوراق تتطاير، ما زال يريدُ أن يعرف لمَ وقفتِ الفتاة بدربه، قد تكون ربَّة الإلهام تنكَّرت وجاءت لاسترداد ما أعطته لأنَّها أخطأتِ التَّقدير، مثل هذا الظَّنِّ يتردَّدُ في ذهنه، يريد أن يصل إلى جواب يريحه من الرَّحيل الدَّائم كلَّما يأتي اللَّيل، لمَ أتَت، وأين ذهبت، وكيف السَّبيلُ إليها؟!..

مرَّت أيَّامٌ قبل أن يقف هو أمامها، لا يمكن أن ينسى ذلك، إعتبر اللَّحظة خاتمةً لمفتَتَح حياة اختزلت تراجيديَّاتها ومآسيها في برق ومض وكانت السَّعادة وكانت الآمال وكان المسير الطَّويل المُمتع فاصلةً زمنيَّةً من فواصلَ لا تتكرَّر، الآن يتذكَّر كيف وقف، كيف وقفت هي، كيف سقط المظروف من يده، كيف سقطت حزمة أوراق من يدها، كيف ارتعش، ابتسم، كيف ارتعشت، كيف فتحت ثغرَها، (في ما بعد) تعذَّر عليه أن يكتشف فارقًا ما بين الوقفتَين، ذات النَّصاعة للأسنان،

نداءات الذَّبيحة عَينها، الحرائق عَينها، هزَّت شعرها، تقدَّمت منه وحدَّقت في عينَيه،كان مأخوذًا، لا يعرف (الآن) لمَ أصابه الشَّلل عَينُه الذي باغتَه يومَ وقفت بدربه، رآها ترفع المظروف، رآها تجري اللاَّزم، تجفل لحظة انساب خرير زلال وأطفأ نيرانه، كانت نهاية دراماتيكيَّة، انتهى كلُّ شيء، وظلَّت بحوزته فكرتان، باحت له مكنونها، حرائقها الأبديَّة مذ رأته، ما عاد اللَّيل فراشها المبثوث، ولا النَّهار دار القرار، هو من قفل عقلها وسلب وجدانها، ما عاد الهواء يملأ رئتَيها إن لم يكن شعرُه الأوكسجين المذابَ فيه، كشفت الغطاء عن أسرارها، ويا ليتها ما فعلت، كانت تفتح رسائله وتستنسخ قصائده المرسلَة إلى الصُّحف والمجلاَّت، صارت كما صرَّحت له، طيرًا بلا مأوى، وجدته العشّ، ريشة في مهبِّ الرِّيح، تحلِّق بحثًا عن مستَقَرّ، لا أحد غيره يرجع العواطف إلى سلَّة القلب!!.. كلَّما يأوي إلى فراشه، تُقلقه قلقًا جميلاً، تأتي في الزَّمان المحدَّد، كما كانت في ذلك المساء السَّعيد، (الآن) هو يمتلك كامل الرّغبة ولديه استعدادٌ كي يقول لها أشياء جميلة، لكنَّها غدت ومضة برق في يوم غائم، هكذا يصفها، لم يهمل زقاقًا واحدًا، راقب أبواب منازل المدينة كلَّها، وقف في مرأب نقل المسافرين، وقف بباب دائرة البريد صباحًا ومساء، حضر احتفالات الأعراس، مضى صوب كلِّ إشاعة أو واقعة، تحرَّى عن فتيات مُتنَ في غموض، استفسر عن فتيات ألقينَ أنفسهنَّ في نهر المدينة، دائمًا يعــود من تجوالاته وكلُّه يقينٌ أنَّه في يوم ما، في مكان ما، واجدٌ إيَّاها!!..

تمرُّ الأيَّام، الأشهر، السَّنوات، ويكتشفُ نفسَه أسيرًا لأمل قائم، أملٍ صار سفينة في متاهات بحار ومحيطات، كلَّ مساء، لحظةَ ينتهي من أعماله ويتأكَّد أنَّ القصيدة خارج أفلاك زمنه، تحطُّ بالقرب منه لتأخذه إلى شجرة سعادته، كما كانت بكلِّ لوعتها تهلّ، كقمر في لحظة اتِّساق، ليل يأتي وليل يمضي، لا شيء يتبدَّل، اللَّيل لا يــزال يجثم على آثام العالم، يفتح آفاقه أمام سفينته، النَّهر ما زال

يلهثُ إلى حتفه، الكلاب تنبذ حداثة الحياة، لمَّا تَزَلْ تتمسَّك بعادتها القديمة، النّباح، النّباح، وليذهب العالم إلى الجحيم، يرسل نظره إلى السَّديم المتهالِك تحت سياط النُّجوم، يسحب المنديل من جيبه الملتصق بالقلب، يفرده برفق، هناك بقعة ضوء، في مساء بعيد، شعّ وسكن، مساء وقفت حياته، لأنَّ فتاة وقفت بدربه، ما مِن شكٍّ أنَّها قصدته، طالما تركت الجرم المشهود، وقفت بدربه وقالت أشياء كثيرة بعينَيها، لم تعد تهمُّه الآن، خنقته بذراعَيها ونسيت ثغرها على خدِّه الأيمن، لحظةَ فرَّت من أمامه، أراد أن يتخلَّص من ماء وجهه، أراد أن يمسك روحه كي لا تغادره، لم يدرك أنَّه أرَّخ الواقعة، وصنع بلا تخطيط مسبَق سفينة هذا الرَّحيل المفرح الدَّائم، ثغر دامٍ يوجَدُ كما كان، ما زال يتذكَّر كيف عاد إلى غرفته، كيف نسي رفاقه في المقهى، لقد كان يحتضن العالمَ كلَّه بين أضلعه، شعور تملَّكه في ذلك المساء الجديد، شعر أنَّه أصبح أنسانًا فوق العادة، مؤهّلاً للأحلام الكبيرة، وعرف لحظتها أيضًا أنَّ القصيدة مهما بلغت أعجازيَّتها لا تمنح سعادةً كهذه، ثغر فتاة يوجَدُ معه بكلِّ ألق وشوق ورغبة يرتسم على منديل لا يريد أن يتهرَّأ، ثغر لا يزال كما كان يرافقه إلى أبد الآبدين!!..

أراد أن يتأكَّد من نفسه، شكله ما زال كما كان، هيكله لم يجرِ عليه أيُّ تغير، لقد عصف به زلــزال بلا استشعار، لم يحاور نفسه حول كيفيَّة وصوله غرفتَه في فندق المدينة، يتذكَّر (الآن) لحظة وصوله، كيف هرع إلى المرآة، لقد ظنَّ كلَّ الظَّنّ، أنَّ شيئًا ما قد حدث، يشعر به – لا يزال – كلَّما يأتيه اللَّيل ويكون هو داخل سفينة الأمل، أقدامه لم تعد أقدامَه، شكله يحاور نسائم جديدة، عيناه تريان ألوانًا لم يكتشفها التَّشكيليُّون، قامته صارت تتطح الغيم، قلبه يفيض كشلاَّلات مائيَّة تنحدر بألِق، (أراد أن يتأكَّد) يتذكَّر كيف أحتدَّ لحظةَ رأى (وشم) ثغر فتاة أتته ووقفت أمامه، لقد كان يرتسم بكلِّ تحدٍّ ورغبة، ثغر يلتصق على خده الأيمــن، أحمــر بلون الدَّم، ما زال يحتفظ بوهج المساء، ما زال ينطق، ما زال

يغرِّد كلَّما أرادَ أن يتجرَّد من أعباء النَّهارات المملَّة، ما زال يتذكَّر كيف سحب من جيبه المنديل، كيف شُدهَت عيناه، كيف انفتح فمه: لقد نسيت ثغرها!!.. (هكذا صرخ) لحظتها ولا يزال حتَّى هذه اللَّحظة يتبرَّك به، يُشعره كلَّ ليلة أنَّه إنسانٌ مُفعمٌ بالحياة، يراوده أملٌ يتفرَّع إلى هاجسَين: هاجس القصيدة التي سبتت، وهاجس فتاة ذات مساء ودود وقفت بدربه ورحلت من غير إعلام، كلّه يقين أنَّ الهاجسَين ينبعان من مَعين واحد ويرتبطان روحيًّا بينبوعَين، أحدهما سيفجِّر الآخر، أنَّ تبرعم أحدهما سيُورق الحياة وتنطلق خيول الذَّاكرة صوب مهاد الشِّعر والحبّ!!.. ويتكرَّر المشهد، كلَّما ينهض من نومه، يجد القلم يائسًا (يشخر) بين الأوراق المبعثرة، ينهض، يتهندم، يلبس نظَّارته، يتناول عكازه، يُلقي نظرات متوجِّسة إلى الصَّباح المستفيق، يحاول أن يستوعب التَّغيُّرات الجارية في هندام الحياة، يحاول أن يرصد الشَّوارع المتقاطعة، الأزقَّة الحديثة المتداخلة، وكلَّما تترآى له فتاة، ينطلق إليها (قد تكون هي)، ربَّما احتفظت بسرِّ جمالها، ربَّما ظلَّت صغيرة لا تريد أن تكبر، مثلما هو لا يريد أن ينسلخ من مساء بعيد حفل بسعادته المؤجَّلة، يلهث كلَّما يرى فتاة، لا يهمُّه إن تقهقر، المهمُّ أنَّه يؤدِّي ما عزم عليه مذ وقفت الفتاة أمامه وتركت صراحة على منديله ثغرها!!..

تمرُّ الأيَّام، الأشهر، السَّنوات، لا جديد، يستعيد التقويم دورته، يبدأ بتقليب أوراقه من جديد، تواصل الشَّمس شروقها وغروبها، الفصول تتعاقب، عليه أن يواصل الانتظار ما دام الأمل يحدوه، ما دام يتسلَّح بثغر عذب ناطق، ثغر يذكره بمساء مسرَّاته، مساء بعيد، مساء سعيد، مساء جديد، مساء يذكِّره بفتاة هبطت من كوكب مَنسِيّ، وقفت أمامه، ودونما شعور منه، طوَّقت رقبته ورسمت على خدِّه الأيمن فجوة الأمل!!..

قصَّةٌ نُشرَت في جريدة "التَّآخي" – أبعاد ثقافيَّة، العدد ١٨٣، بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١٧.

ألمحتوَيات

ألأوراقُ لا تأتي في خريف الرَّغبات..... ٣

في حدثَين منفصلَين..... ١٠

سرابٌ أو ترنيمةٌ لغزالة القلب..... ١٥

أنا كاتب تلك القصَّة..... ٢١

صندوقُ الوِجدان..... ٣١

يومَ اغتالوا الجسر..... ٤٢

ثغرُها على منديل..... ٤٩

ألمحتويات..... ٥٧

الثقافة بالمَجَّان

سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

THAGHRUHA ‘ala MINDIL

ثغرُها على منديل

Octobre 2008
ألحقوقُ مَحفوظة © ***Tous droits réservés* – All rights reserved – *Todos los derechos reservados***
Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org